علم اللغة النظامي

مدخل إلى النظرية اللغوية عند هاليداى

الدكتور
محمود أحمد نحلة
كلية الآداب - جامعة الإسكندرية

٢٠٠١



علم اللغة النظامى

مدخل إلى النظرية اللغوية
عند هاليداى

الدكـتور

محمود أحمد نحلة

كلية الآداب - جامعة الإسكندرية

الطبعة الثانية

١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م

مُقَدِّمَة

ثمة نظريات لغوية حديثة لم يكتب لها من الشهرة والذيوع ما كتب لغيرها، بالرغم مما تتميز به من ضبط منهجي ، وتواؤم مـــع طبيعـــة اللغة، وقابلية للتطبيق. فمنذ أن ظهرت النظريـــة التحويليـــة التوليديـــة فملأت الدنيا وشغلت الناس شغف شــباب البــاحثين بـــها ، وتضــاءل اهتمامهم بما عداها من نظريات لا تقلّ عنها أهمية في النظر والتطبيق. ومـــن هذه النظريات التى لم تلـــق ما تستحق من اهتمام تلك النظريـــة التى تُعرف بعلـــم اللغة النظامى Systemic Linguistics. وهى التـــى يقوم هذا البحث على التعريف بها ، وإبراز مكانتـــها بيـــن النظريـــات اللغوية المعاصرة بالكشف عن التصور العام للغة الذى تدور فى إطاره، والمصادر العلمية التى تعتمد عليها، والأسس المنهجية التى تقوم عليها، مع بيان ما تتفق فيه هذه النظرية مع غيرها من النظريات، وما تفـــترق به عنها ، وبخاصة النظرية التحويلية التوليدية ، ثم تتبع مراحل تطورها منذ مرحلة النشأة حتى استوت نظرية متكاملة.

لقد عبر بعض الدارسين للمدارس اللغوية المعاصرة عن انصراف الباحثين إلى المدرسة التحويلية التوليدية ، وقلة الاحتفال بما عداها مـــن مدارس، وبخاصة مدرسة لندن، التى نشأت فيها النظريـــــة النظاميـــة وتطورت، فقـــال جفري سامسون ما ترجمته: " وفى الوقـــت الراهـــن نرى أن الفريق المناسب الذى يُفضَّلُ الانتســـاب إليـــه هـــو الفريـــق الأمريكى؛ فالفكرة مهما كانت غير مختمرة تؤخـــذ على محمل الجـــدّ إن كانت صـــادرة عن " معهـــد ماساتشوستس للتكنولوجيا " حتى لـــو

كانت مسبوقة بأعمال قيمة أنجزت فى " الأمـــاكن الخاطئـــة " ، فعلـــى الرغم من أن هذه الأعمال لا ترفض ، لكنها تئول إلى الإهمال"[١] وقال: " وفى لندن ، وكذلك فى بقية الجامعـــات البريطانيـــة وجامعـــات دول الكومنولث هناك علماء ما فتئوا يعملون ضمن إطار المنهج الفـــيرثى ، لكن عددهم ضئيل الآن ، أو أن منشوراتهم تضاءلت على الأقل أمـــام الجيل الجديد المفتون بتأثير تشومسكى ."[٢] ثم قال : " فبالنسبة للسـانى الشاب فى أيامنا هذه فإنّ الطباعة الفاخرة ، والتجليد الأنيق لمحـــاضر الجمعية اللغوية Transaction of the Philological Society تنم عن التهذيب ، وعن الفقر بسترته المرقعة ، وعن الحنين إلى الأمجاد الغابرة على الحدود الشمالية الغربية . أما النشرات المطموسة والمطبوعة على ورق الحرير ، والخارجة لتوها من مطابع نادى اللســانيات بجامعـــة " إنديانا " فتتمتع بكامل إمكانات برنامج " أبولّـــو"، واقتصـــاد البليـــون دولار. لســوء الحظ يبـــدو أن المنطق السليم (الذى تستطيع مدرســـة لندن أن تقدم منه كل ما يمكن أن يقدمه منـــهج أسســـه رجـــل مـــن يوركشير ، والعلم الدقيق الذى أقل ما يقال إنها حظيت منه بنصيـــب لا بأس به بالمقارنة مع الحركة التى طغت عليها) اعتبارات لا قيمة لـــها أمام هذا التيار الهائل."[٣]

---

(١) جفرى سامسون : مدارس اللسانيات : التسابق والتطور . ترجمة: محمد زياد كبة ـ منشورات جامعة الملك سعود . الرياض ١٤١٧هـ ص ٢٥٠-٢٥١ .

(٢) السابق ص ٢٥١.

(٣) السابق نفسه.

لقد قام علم اللغة النظامى فى مبدأ أمره علـــى أفكـــار اللغـــوى الإنجليزي البارز ج٠ آر ٠ فيرث J. R. Firth (١٨٩٠ ــ ١٩٦٠).

وعلى الرغم من أن ما نشر من أفكار الرجل يعدّ قليلاً نسـبيا ، ويعيبه أمران : فقدان الوضوح inexplicitness ، وفقـــدان التماســك incoherence ، فقد كان أثر فيرث فى تلامذته عظيما ، وكان أكثرهم وعيا بأفكار أستاذه ، واستيعاباً لها ، مايكل ألكسندر كيركوود هاليداي ، الذى استطاع أن يمنح هذه الأفكار الوضوح والتماسك ، واستطاع منـــذ وقت مبكر أن يضع إطاراً نظريا محكماً لنظرية لغوية تقوم على أفكار فيرث ، يشاركـــه أحياناً بعض زملائه ، حتى أطلق عليهم الباحثون : " الفيرثيين الجدد " Neo-Firthians ٠ وما من شك فى أن فارسهم الذى لا يشق له غبار كان هاليداي ٠ على أن هاليداي لم يكتف بمـــا تمثلـــه مـــن أفكار فيرث ، بل وسّع دائرة معارفه ، فأفاد من مصادر أخـــرى لعلّ أهمها نظرات مالينوفسكى وورف ، وهيلمسلف ، ومدرسة براغ ، فى وضع نظرية محكمة للوصف اللغوى من الممكن اســـتخدامها فـــى وصف لغات مختلفة ، ومازال بها يطورها ، ويعدل مسارها حتى ظـنّ بعض الباحثين أنه عدل عن أفكاره المبكرة ، واتجه بالنظريـــة اتجاهـــا آخر جديدا ٠

والحق أن النظرية قد مرت بمراحل من التطور لكنها لـــم تفقـــد فيها– على الأقل عند هاليداي – الأسس المنهجية التى قـــامت عليـــها، حتى ليمكن القول إن هاليداي لم يخرج بالنظرية عن إطارها المرســـوم لها بالرغم مما قام به من تطوير، لكن بعض زملائه ، وبخاصة هدسون

انحرف بمسار هذه النظرية إلى وجهة أخرى ، واقترب بـــها اقترابـــاً شديداً من نظريات أخرى تختلف عنها اختلافاً بينا كالنظرية التحويليـــة التوليدية • فتداخلت عنده بعض جوانبها مع هـــذه النظريـــة ، وفقـــدت بعض تميزها أو كادت • من ثم سوف يكون تتبعنا لهذه النظرية مـــن خلال ما قام به هاليداي نفسه محددين تصوره العام ، ومصادره العلمية التى استعان بها على تأسيس هذه النظرية ، والأسس المنهجية التى تقوم عليها وتختلف بها عن غيرها من النظريات المعاصرة ، ثـــم نعـــرض لمرحلتين أساسيتين من مراحل تطورها.

وبناء على ما قدمت جعلت هذا البحث فى بابين وأربعة فصـــول فعقدت الفصل الأول من الباب الأول للمصادر العلمية التى استعان بـــها الرجل فى وضع نظريته العلمية ، وعقدت الفصل الثانى من هذا البـــاب للحديث عن الأسس المنهجية التى يقوم عليها علم اللغة النظـــامى، مـــا يتفق منها مع النظريات الأخرى المعاصرة. وما يختلف منها عنها. وقد تتبعت فى الباب الثانى نشأة النظرية وتطورها فقسمته إلى فصلين كـــل منهما يمثل مرحلة أساسية من مراحل تطورها فجعلـــت الفصـــل الأول للحديث عن المرحلة الأولى من تطور النظرية متمثلة فى نحو المقيـــاس والفصيلة ، وجعلت الفصل الثانى للمرحلة الثانية التى بـــدأت معالمـــها تظهر منذ منتصف العقد السادس من القرن العشرين حتى انتهت إلـــى نموذج أشدّ إحكاماً من سابقه سمى علم اللغـــة النظـــامى Systemic Linguistics أو النحو النظامى Systemic Grammar لمـــا أصبـــح لمفهوم النظام من أهمية بالغة فيه• وقد حملت ملامح التطـــور توجـــها

وظيفيا جعل بعض الباحثين يطلق على نموذج هاليداي فى هذه المرحلة " النحو النظامى الوظيفى " أو علم اللغة النظامى الوظيفى ٠ أما المرحلة الثالثة فيمكن التاريخ لها بكتاب هاليداي مدخل إلى النحو الوظيفى سنة ١٩٨٥ An Introduction to Functional Grammar، إذ كان ثمرة اهتمامه المتزايد بوظائف اللغة فى المجتمع وما يعبر عنها من تراكيب ، وقد وضع به أسس نظرية وظيفية غير منبتة الصلة عن الأسس المنهجية التى قام عليها فكره اللغوى فى المراحل الثلاث ، بل إن نحوه النظامى يمثل المرتكز الأساسى لنحو الوظيفى ، ومن هنا تميزت نظريته الوظيفية عن نظريتين وظيفيتين معاصرتين هما : النحو الوظيفى Functional Grammar عند سايمون دك S.C.Dik (١٩٨٠) ، والنحو الوظيفى التوحيدى Functional Unification Grammar عند كاي Kay (١٩٨٤ ، ١٩٨٥)٠ وهذه المرحلة من الثراء والعمق بحيث تحتاج إلى بحث منفرد يعنى بجوانبها المختلفة ٠ من ثم اقتصرت فى هذا البحث على المرحلتين الأولى والثانية ، وتركت لمن يأتى بعدي استكمال هذا الجانب. ولا يفوتنى فى ختام هذه المقدمة أن أتوجه بالشكر الجزيل للصديق العزيز الأستاذ السيد عبد القادر على متابعته فى إخلاص وتجرد مراحل طباعة هذا البحث وتصحيح تجاربها ٠ والله الموافق والمعين.

محمود نحلة

البَابُ الأَوَّلُ

المصادر العلمية والأسس المنهجية

الفصل الأول

المصادر العلمية

تعددت المصادر التى صدر عنها هاليداي فيما وضع من أسس نظريته وليس من الميسور تمييز ما استقاه من هذه المصادر عن أفكاره الخاصة . وقد استصعب ذلك روبنز إلى حدّ جعله يقول : " إن السؤال عما وسّعته نظرية هاليداي وطورته من أفكار فيرث أو مما أخذه عن غيره يظل بلا جواب."[1] ولعل مردّ ذلك إلى أن الرجل تمثل ما جاء في هذه المصادر حتى ملك زمامه ، ثم طوره ، وأحكمه، وخلطه بفكره وتصوره، فاستوى خلقاً آخر.

على أن ذلك لا يمنعنا – وما ينبغي له – من محاولة تعرف مصادره الأولى ، وكيفية استثماره لها ، وبخاصة فى المرحلة المبكرة من وضع النظرية . وليس من شك فى أن مصدره الأول فى هذه المرحلة كان أستاذه فيرث بما أرساه من مبادئ نظرية أفاد فيها من بعض اللغويين البريطانيين مثل هنري سويت ودانيال جونز فضلاً عن عالم الأنثروبولوجيا البولندى مالينوفسكي ، كما أفاد فيها من اختلاطه بالدارسين والباحثين الأجانب فى مدرسة الدراسات الشرقية والأفريقية SOAS الذين تختلف ألسنتهم وعاداتهم وأنماط سلوكهم .

ولفيرث مكانة رفيعة بين رواد البحث اللسانى اللغوى المعاصر، فقد كان أول أستاذ لعلم اللغة العام فى الجامعات البريطانية عام ١٩٤٤ ، وكان أول من جعل من علم اللغة دراسة علمية متميزة معترفاً

(1) Robins,R.H.:General Linguistics. An Introductory Survey. Longman London , New York (1980) .P.282

بها فى بريطانيا العظمى[1] بعد أن أسس قسما لعلم اللغــة عــام ١٩٣٢ كان الأول من نوعه فى بريطانيا [2] وكان نواة لمدرسة لغوية عرفــت من بعد بمدرسة لندن ، وعدت المدرسة الرابعة بجانب المدارس الكبرى الثلاث : مدرسة براغ ، ومدرسة كوبنهاجن ، والمدرسة الأمريكيــة. [3] وقد تلمذ لفيرث معظم الباحثين فى مجال علم اللغة فى بريطانيا ، فجـاء إنتاجهم متأثراً بأفكاره وتصوراته حتى لقد أصبح اسم مدرســة لنــدن يطلق على المنهج البريطانى بعامة[4] كما تلمذ له عدد من رواد الــدرس اللغوى الحديث فى مصر والعالم العربى منهــم تمام حسان ، وكمــال بشر ، وعبد الرحمــن أيوب ومحمــود السعــران[5] فكانوا عونــا لــه على دراسة أصوات العربية الفصحى ونظامها المقطعى والمقارنة بينها وبين العامية المصرية ، إيضاحاً لنظريته فى الفونولوجيا التطريزية. [6]

لقد اهتم فيرث اهتماما كبيراً بأعمـــال اللغوييــن البريطــانيين وبخاصة هنري سويت H. Sweet (١٨٤٥ ــ ١٩١٢) ودانيال جونــز

---

(1)Ibid, P. 349.

(٢) جفرى سامسون: مدارس اللسانيات : التسابق والتطور ، ترجمة محمد زيــاد كبــة. منشورات جامعة الملك سعود الرياض (١٤١٧هــ/١٩٩٧) ص ٢٢٧ .

(3)Helbig, G. 1981 Geschichte der neueren Sprachwissenschaft. Opladen S.8f

(٤) جفرى سامسون : مدارس اللسانيات ص ٢٢٧.

(٥) حلمى خليل : العربية وعلم اللغة البنيوى ، دراسة فــى الفكــر اللغــوى الحديــث (الإسكندرية ١٩٩٦) ص١٦٧.

(6) Firth. J.R. Sound and prosodies, in: Jones, W.E & lover, J. (eds): (1979. Phonetics in Linguistics A Book of Readings. P.52ff.

D. Jones (١٨٨١ ـ ١٩٦٧) وقد كان سويت يعد بحق رائـــد علـم الأصوات الحديث ، ويعدّ كتابـه Handbook of Phonetics (١٨٧٧) بالغ الأهمية فى انتشار المعرفة بهذا العلم الجديد. [١] وكـــان اهتمامــه بالجوانب العلمية فى علــم الأصوات يعدل اهتمامه بالجوانب النظرية . وكان ظاهر الميل إلى المنهج الوصفى فى دراسة اللغة فـــى مواجهــة المنهج التاريخى الذى كان سائداً فى ألمانيا ، وبرغم ذلك كان الألمـــان أسبق إلى الاعتراف به عالما مبرزاً فى الدرس الصوتى ، وقد تحقــق له ذلك فى ألمانيا أسرع مما تحقق له فى وطنه ، إذ منعه اتجاهه النقدى من الحصول على درجة الأستاذية فى أية جامعة بريطانية. [٢]

وأما دانيال جونز فقد تأثر مذهب سويت ووسع جوانبه[٣]وكان له اهتمام مماثل بالجوانب العلمية فى الدرس الصوتى ، واستطاع أن يثير الاهتمام بمشكلة الكتابة الصوتية فى بعض اللغات التى تختلف أنظمتــها الكتابية عن نظام الإنجليزية كالسنسكريتية ، والفارســية ، والعربيــة ، وانتهى إلى أن نظام الكتابة فى بعض اللغات ومنـــها العربيــة أكــثر ملاءمة للنظام الفونولوجى منه فى اللغة الإنجليزية. [٤] وقد أفـــاد مـــن

(1)Butler, Ch.S.: 1985 Systemic Linguistics . Theory and Applications London. P. 1 f

(٢)ر.هــ. روبنز : موجز تاريخ علم اللغة (فى الغرب) ترجمة أحمد عوض . عــالم المعرفة ٢٢٧ الكويت ١٩٩٧ ص٣٢٣ .

(٣)السابق ص ٣٤٨

(٤)السابق نفسه ص ٣٢٢ وانظر.

Firth J.R. : Sound and Prosodies, in : Jones,W.E & lover, J.(eds) 1979 linguistics A book of Reading (longman) P51-52 ff

كتابه خلاصة علم الأصوات Outline of English Phonetics عدد لا يحصى من دارسى اللغات ومدرسيها. (1)

وقد كان أثر هذين العالمين فى فيرث عظيما ؛ إذ أخذ عنهما الاهتمام بوصف اللغات لأغراض عملية،(2) وأعانه على ذلك عمله فى مدرسة الدراسات الشرقية والأفريقية SOAS ، وكانت مؤسسة تابعة لجامعة لندن أنشأتها الحكومة استجابة للحاجة الملحة لدراسة لغات الإمبراطورية وثقافاتها ، وكانت تغص بأناس أمضوا جزءاً كبيرا من حياتهم العملية فى اتصال مباشر باللغات والثقافات الأجنبية . وكانت الإمبراطورية البريطانية بالقياس إلى مدرسة لندن بمثابة الهندية الأمريكية بالقياس إلى الوصفيين الأمريكيين ، مع فارق شديد الأهمية هو أنّ الأمريكيين انصرفوا إلى دراسة لغات على وشك الانقراض فى حين أن اللندنيين كانوا يدرسون لغات حية غير مهدّدة بالانقراض، فواجهوا مهمة تطوير الوسائل اللازمة للتواصل مع أهل هذه الحضارات،(3) ومن هنا أصبحت الجوانب العملية فى دراسة اللغة جزءاً لا يتجزأ من المنهج البريطانى لدراسة اللغة ، وبرزت موضوعات مثل تطوير نظم الكتابة ، والتخطيط اللغوى على خارطة البحث اللغوى ، وعنى فيرث بتدريس مقررات فى علم الاجتماع اللغوى Sociology of Language فى العقد الثالث من القرن العشرين قبل أن يلتفت إليه

(1) Butler, Ch.S. (1985) p.1-2

(2) Ibid, P. 2.

(3) جفرى سامسون : مدارس اللسانيات ص ٢٢٧ــ٢٢٨.

- Butler, Ch .S.(1985)P.2.

الأمريكيون بوقت طويل.[1]

ولما كان الاهتمام فى مدرسة لندن حتى ذلك الحين منصبا على الدرس الصوتى كان من الطبيعى أن يولى فيرث هذا الجانب جلّ اهتمامه ، وقد انصب اهتمامه على علم وظائف الأصوات ، وكان من أهم ما وصل إليه أن النظام الصوتى فى أية لغة يتألف من عدة نظم polysystemic ، وهى نظم من الاختيارات التبادلية التى يحجب بعضها بعضاً mutuallay exclussive ، وهى أيضا نظم من المعنى ، وهو يرى أن هناك تلازماً بين الصوت والمعنى ؛ إذ كل اختيار لصوت إنما هو اختيار لمعنى ، وقد شجع هذا أعضاء المدرسة على توجيه قسم كبير من اهتمامهم إلى دراسة التنغيم intonation من حيث هو مجال من مجالات الفونولوجيا يسهل فيه الدفاع عن التلازم بين الصوت والمعنى، وقد حققوا فى دراسة التنغيم ما لم يحققه الأمريكيون مهما كان انتماؤهم.[2]

ولعلّ أكثر الجوانب تميزا فى عمل فيرث هى الفونولوجيا التطريزية prosodic phonology التى عرضت أول عرض منظم سنة ١٩٤٨ م ، ثم طورت عند التطبيق على عدد من اللغات ــ ومنها العربية – فى العقد التالى.[3] والتحليل التطريزى عنده يقوم على

(١) جفرى سامسون : مدارس اللسانيات ص ٢٢٨.

(٢) السابق ص ٢٣٦– ٢٣٧، ٢٤٢.

(٣) روبنز : موجز تاريخ علم اللغة ص ٣٥٥ وانظر بحث فيرث Sounds and Prosodies الذى نشر أول مرة سنة ١٩٤٨ فى
Transaction of the philological Society, 127-152.

عنصرين أساسيين يختلف بهما اختلافاً بينا عن التحليل الفونيمـــى فـــى المدرسة الأمريكية.

أحدهما : الوحدات الفونيماتيـــــة phonematic units : وهـــى وحدات فونولوجية ترتب الأصوات فيها على أساس مـا بينها من علاقات قائمة على التعاقب successivity.

والثانى : المعلم التطريزى prosody : وهو يتجـــاوز حـــدود المقطع الواحد والكلمة الواحدة ليشمل الجملة أو القول ، ومن أنواعه النبر ، والتنغيم ، والوقـــف، والجـــهارة، والإيقاع ، والطول ، والسرعة ، ويشمل أيضاً بعـــض المعالم الثانوية كالتشـــفيه liprounding ، والتـــأنيف nasalization• وهذان الاختلافان قد يجمعهما القـــول بأن النموذج الفونيمى أحادى البعـــد unidimentional أو وحيد النظـــام monosystemic ، أمـــا النمـــوذج التطريزى فهو ثنائى البعـــد two- dimentional أو متعدد النظم polysystemic.[1]

---

(1)Lyons, J.:(1962) Phonemic and non –phonemic phonolgy : some typological reflections, in :Jones, W.E & Lover, J.(1979) P . 231
- Robins, R.H. (1980) P. 152
- Gardner, T. Einführung in die moderne englische phonologie. Heidelberg 1975 S.56f.

كمال بشر : التفكير اللغوى بين القديم والجديد. مكتبة الشباب (القـــاهرة د.ت) ص١٣٥-١٣٦.

ودراسة اللغة عند فيرث تقوم على محورين : تركيبى syntagmatic أو أفقى horisonal وجدولى paradigmatic أو رأسى vertical ، فعلى المحور الأفقى تؤلف العناصر اللغوية تراكيب structures ، وعلى المحور الرأسى ترتب العناصر فى أنظمة systems . [١]

وقد استخدم فيرث مصطلح التركيب استخداماً متماسكا فى أعماله كلها[٢] وهو عنده علاقة تبادلية بين العناصر اللغوية فى نص أو جزء من نص[٣] ويتجلىّ على المستويين المعجمى والنحوى فى ظاهرتين بارزتين هما : التلازم collocation والتوارد collogation ، فالتلازم يقوم على علاقة دلالية بين الكلمات ، والتوارد يقوم على علاقة نحوية بين العناصر اللغوية[٤] فالتوارد يختلف عن التلازم فى أنه علاقة تبادلية بين الفصائل النحوية كالأداة والاسم والفعل والظرف ... الخ وتواردها عنده جزء من معناها النحوى. [٥]

---

(1)Malmkjær, K. : Scale and Category Grammar, in : Malmkjær K.(ed) 1991 The Linguistics Encyclopedia. Routledge. London-New York..

(2)Butler, Ch. S . (1985) P. 7

(3)Palmer, F.R . (1968) Selected Papers of J . R . Firth , Longmant . P .103 .

(4)Firth J .R . : (1957) Papers in Linguistics 1934 – 1951 , Oxford University press . P . 196

(5)Butler, Ch. S . (1985) P. 8

- De Beaugrande, R. (1991) : linguistic Theory. The Discourse of fundamental Works. Longman p. 252 f.

واستخـــدم أيضا مصطلح " نظـــام " فـــى أبحاثـــه المبكرة (فى العقد الثالث من القرن العشرين) استخداماً موسّعاً قياساً علـــى أنظمـــة السلوك الاجتماعى والفردى ثم استخدمه فى أبحاثه المتأخرة دالاً علـــى مجموعة متعددة من الاختيارات فى سياق محدد،[1] كما استخدم أيضـــاً مصطلح systemic دالاً على الوصف النظامى للظواهر اللغوية، وهو المصطلح الذى جعل منه هاليداي فى نحو ســـــنة ١٩٦٦ وصفـــاً لنظريتـــه اللغويـــة التى عرفـــت بالنحـــــو النظامـــــى Systemic Grammar أو علم اللغة النظامى Systemic Linguistics .[2]

وقد حاول فيرث جاهداً أن يضبط مفهوم النظام فرأى أن معنى كل نظـــأم تحدده العلاقات بين العناصر التى يتكـــون منـــها النظـــام ، فمعنى الرفع مثلاً فى نظام ذى أربع حالات إعرابية يختلف قطعاً عنـــه فى نظام ذى حالتين إعرابيتين أو أربع عشرة حالة ، والمفرد فى نظـــام للعدد ذى نوعين : مفرد وجمع له معنى نحوى يختلف عنه فـــى نظـــام ثلاثى : مفرد ومثنى وجمع أو رباعى كما فى اللغـــة الفيجيـــة Fijian التى تفرق بين المفرد والمثنى وجمع القلة وجمع الكثرة. ومعنى الاســـم فى نظام ذى ثلاثة أقسام : اسم وفعل وحرف يختلف عن معنى الاســـم فى نظام ذى خمسة أقسام تتميز فيه الصفة والضمير عن الاسم والفعـــل والحرف.[3]

---

(1)Kress, G. (1976) : Halliday : System and Function in Language . London P . xiii.

(2) Butler, Ch . S . (1985) P . 6.

(3) Firth, J. R . (1957) P . 227.

وقد لحظ بالمر أن هذه النظرة تكشف عن توجه سوسيري قـــوى برغم رفضه الظاهرى لدى سوسير.[1] على أنه يختلف عن دي سوسير فى أنه يرى اللغة عدداً ضخمـاً مـن الأنظمـة تعمـل معـــاً، وأن تعـدد الأنظمـة هذا هـو الذى يناسـب تشـعب الظـاهرة اللغويـة وتراكبها ، وهو لذلك يرى أن من غير الممكن وصـف اللغـة كلـها بضربـة واحـدة قاضية ، ولكن الوصف اللغوى يجب أن يجـرى – على الأقل فى مراحله الأولى ــ على مـا يسـمى اللغـات المقيـدة restricted languages كاللغات المختصة بالعـلوم ، والرياضـة ، والدعاية والعناوين ، وكتابات المؤلف الواحـد ... الـخ.[2] أمـا دى سوسير فهـو على أن اللغة نظام واحد ضخم تمثل ظواهر اللغـة فيـه أجزاء فى نسق كلى واحد.[3]

وهو يختلف مع دى سوسير أيضا فى وجوب التفرقة بين اللغـة langue والكلام parole ، ويرى فيرث أن القول بذلك يقتضى القـول بثنائية الإنسان نفسه ، لأنه إن يكن مكوناً من جسد وروح فليـس مـن الممكن فصل أى منهما عن الآخر ، فكذلك لغته[4]وهو كذلك يـرى أن

---

(1) palmer , F . R (1968) P . 7
- Kress , G . (1976) P . xi

(2)Malmkjær ,K (1991) P385.
- Butler . Ch . S . (1985) P . 5

(٣)ميلكا إفيتش : اتجاهات البحث اللسانى ترجمة : سعد عبد العزيز مصلوح ووفاء كـامل فايـد . المجلس الأعلى للثقافة (القاهرة ١٩٩٦) ص ١٩٤.

(٤) كمال بشر : التفكير اللغوى بين القديم والجديد مكتبة الشباب (القـاهرة د . ت) ص ١٣٢.

للغة مظهرين : منطوقاً تسمعه الأذن ومكتوبا تراه العيـــن ، وكلاهمـــا حقيق بالدراسة.[1]

وقـــد كـــان لالتقـــاء فيرث ببرونسلاف مالينوفسكى (١٨٨٤ ـ ١٩٤٢م) في العقد الثالث من القرن العشرين أثر كبـــير فـــى صياغـــة نظريته اللغوية[2]فقد كان مالينوفسكي أستاذاً لعلم الإنسان (الأنثربولوجيا) في مدرسة لندن للاقتصاد ، وبقدر ما كان مالينوفســـكى أنثروبولوجيـــا كبيرا كان لغويا فطريا موهوباً أتاحت له أبحاث الميدانية في مجموعـــة من جزر جنوب الباسيفيك تعرف بجزر التروبريـــاند Trobriand أن يعايش أهل هذه الجزر ، وأن يجيد لغتهم ، وهم قوم بدائيون يعيشـــون على صيد الأسماك ، وإنشاء الحدائق ، وتسمى لغتهم كيريونيان ، وقـــد قام الرجل بعمله الميدانى كله بين شعب هذه الجزر مستخدماً لغتـــهم ، لكنه واجه مشكلة كيف يشرح أفكاره للقـــراء النـــاطقين بالإنجليزيـــة ، وكيف ينقل إلى الإنجليزية النصوص الكثيرة التى جمعها من هذه اللغـــة على نحو واضح جلي لا لبس فيه ولا غموض ، فى حيـــن أن الثقافـــة التى درسهـــا تختلف كل الاختلاف عـــن تلـــك الثقافـــة التـــى يألفـــها الغربيون،[3] فحاول أولاً أن يقدم ترجمة حرة واضحة مفهومـــة، لكنـــه وجدها لا تعبر عن شئ من لغة هؤلاء ولا ثقافتهم ، ثم عاد فقدم ثانيـــا ترجمة حرفية literal تلتزم الأصل ، فجاءت غامضة غير مفهومـــة

---

(1)De Beaugrande, R. (1991) p.211.

(2)Butler, Ch. S. (1985) p. 2.

(3)Halliday,M.A.K.& Hasan, R(1990): Language, context and Text : Aspects of Language in Social- semiotic Persective. Oxford.P.5 f

عند القارئ الإنجليزي ، فعمد إلى حلّ الإشكال بتزويد النص المترجم بتعليقات مفصّلة ليست كالتعليقات التي يضعها فقهاء اللغة حين يترجمون نصا قديما مكتوبا ، بل كانت تعليقات تضع النص في بيئته الحية.(١)

وحتى ذلك الحين كانت كلمة سياق context تعني النص المصاحب con – text أي الكلمات والجمل التي ترد قبل جملة معينة، تكون محور الاهتمام ، أوبعدها ، فأحس مالينوفسكي بالحاجة ملحة إلى مصطلح يشمل السياق اللغوى الملفوظ ، ويشمل أيضاً الموقف أو السياق غير اللغوى الذى قيل فيه النص، فصاغ في بحث له سنة ١٩٢٣ مصطلح سياق الحال context of situation ، لكنه عاد فرأى أن ذلك غير كافٍ ، ولا بدّ من إيضاح لما وراء ذلك من جوانب ثقافية، إذ ظهر له أن لهذه الجوانب دورا لا يستهان به في إيضاح المعنى، فأضاف إلى سياق الحال مفهوماً آخر أسماه سياق الثقافة context of culture، وعدهما كليهما لازمين لفهم صحيح للنص. (٢)

وقد لحظ مالينوفسكي أيضاً أن الكلام في لغة هؤلاء ليس مجرد قول ، بل هو فعل أيضاً يقارن اللفظ في الوجود ، فالصرخة التي تعلن عن وجود كمية من الأسماك تعني إعادة تنظيم جميع حركات القوارب من جديد ، فالكلمات أدوات ، ومعنى الأداة هو استعمالها. وقد استطاع فتجنشتاين أن يحقق شهرة واسعة بإعادة صياغة هذه الفكرة بعد

(I)Ibid , P . 6

(2)Ibid . P 7 f

مالينوفسكي بوقت طويل[1] وأخذها عنه أوستن لتكون منطلقاً لوضع نظرية الفعل الكلامي speech act theory وكان ذلك فى المحاضرات التى ألقاها فى جامعة أكسفورد فى العقد الثالث من القرن العشرين ، ثم فى المحاضرات التى ألقاها فى جامعة هارفارد ونشرت بعد وفاته فى كتاب عنوانه : How to do things with words (سنة ١٩٦٢) [2]

على أن الرجل حين بين ضرورة الوقوف على سياق الحال وسياق الثقافة لإيضاح المعنى ، أو نقله من لغة ذات ثقافة إلى لغة ذات ثقافة أخرى كان يعتقد فى البداية أنك لا تحتاج إلى ذلك إلا إذا كنت تدرس لغة بدائية primitive ، أى لغة ليس لها ثقافة مدونة ، لكنك لا تحتاج إليه لوصف لغة ذات حضارة كبرى ، لكنه بعد مضى نحو عشر سنوات اعترف فى شجاعة بأنه كان مخطئاً ، وأن الوقوف على سياق الحال وسياق الثقافة لازم لفهم الإنجليزية ، أو أية لغة ذات حضارة ، لزومه لفهم أية لغة بدائية ، غاية ما فى الأمر أن سياق الثقافة فى كل منهما يختلف عن الآخر . فالقول بأن أية لغة ينبغى أن تفهم فى إطار سياق الحال وسياق الثقافة اللذين تستخدم فيهما قول صحيح ينطبق على اللغات فى كل مجتمع ، وفى أية مرحلة من مراحل التطور. [3]

---

(١)جفرى سامسون : مدارس اللسانيات ص ٢٣٨.

(2)Lyons , J . (1996) : Linguistic Semantics . An Introduction Combridg University Press . P 236

- جفرى سامسون : مدارس اللسانيات ص ٢٣٨

(3)Halliday , M. A . K . and Hassn , R . (1990) P . 7 f

- جفرى سامسون : مدارس اللسانيات ص ٢٣٩.

وقد خلص مالينوفسكى من ذلك كله إلى أنَّ اللغة ليست ذاتية النظام ، إذ لا يمكن الوصول إلى المعنى بالاعتماد على عناصرها الذاتية فحسب ، و إنما هى تعتمد اعتماداً تاما على المجتمع الذى تستخدم فيه ؛ إذ هى تستخدم لتحقيق وظائف معينة ذات خصائص محددة فى مواقف اجتماعية بعينها. (1)

وبناء على ذلك جاء تعريفه للمعنى بأنه " وظيفة فى السياق " function in context " ، وهو ما صاغه فتجنشاتاين من بعد فى قولته المشهورة : " المعنى هو الاستعمال " Meaning is use ".(2)

وهذه الوظائف عنده هى: (3)

١ - الوظيفة التداولية : pragmatic : حين تكون اللغة شكلا من أشكال الفعل أو الحدث.

٢ - الوظيفة السحرية : magical : حين تكون اللغة وسيلة للتحكم فى البيئة.

٣ـ الوظيفة الروائية : narrative : حين تكون اللغة مخزناً للمعلومات من خلال أرصدتها المحفوظة عبر التاريخ.

---

(1)Kress , G . (1976) P . viii

(2)Lyons, J (1977): Semantics. Cambridg University Press. Vol. 2 P.727.

- Levinson, S.C. (1983) Pragmatics. Cambridge University press. P. 227

(3) Kress, G. (1976) P. viii

لقد وقف فيرث على ما قدمه مالينوفسكي من نظرات فى دراسة اللغة ، واستطاع أن يستثمرها فى وضع نظريته اللغوية ، وكان أهم ما أفاد منه تصور مالينوفسكي لسياق الحال. على أنه نظر فوجد الهدف منه عند مالينوفسكي لا يتعدى إيضاح المعنى وتفسيره فى حالات معينة من استعمال اللغة ؛ إذ كان معنيا بدراسة نصوص معينة ، ولم يكن مهتما بإحكام نظرية لغوية ، بل كان إسهامه اللغوى بالمعنى الاصطلاحى يتمثل فى تطبيقات متفرقة مبثوثة فى تحليلاته الاثنوجرافية (=العرقية). [1] أما فيرث فكان فى حاجة إلى تصور لسياق الحال يبنى عليه نظرية لغوية خاصة بحيث يكون أشد تجريداً ، وأوسع تطبيقا ، فاستطاع أن يطور هذا المفهوم ليصبح جزءاً من نظرية لغوية عامة. [2]

ولم يكن الإطار الذى وضعه فيرث سنة ١٩٥٠ لوصف سياق الحال أشبه بعرض بالفيديو للشخوص والأصوات التى تلابس الحدث ، على نحو ما كان عند مالينوفسكي، بل كان بنية نموذجية مجردة يجرى عليها ما يتكرر من وقائع الاستخدام. [3]

---

(1)Butler, Ch.s. (1985) P.4

(2)Halliday, M.A.K. & Hasan, R. (1990) P. 8.

(3)Ibid, P.7.

وتتألف هذه البنية من العناصر الآتية : [1]

١ -المشاركون participants فى الموقف ، ودور كل منهم فيه.

٢ - الحدث الذى يقوم به المشاركون ، وهو يشمل الحدث اللفظى verbal action وغير اللفظى non – verbal action.

٣-العناصر الأخرى ذات الصلة بالموقف كالبيئة التى يجرى فيها.

٤-النتائج أو الآثار المترتبة على ما يقوله المشاركون فى الموقف.

ويذكر هاليداي أن أفضل تطبيق لهذا التصور قام به زميل لفيرث هو : ت • ف ميتشل T.F. Mitchell الذى كان أستاذاً لعلم اللغة أيضا فى ليدز ، فقد درس ميتشل " لغة البيع والشراء " التى يتعامل بها الناس فى المحلات والأسواق والمزادات فى شمال أفريقيا ، وكانت اللغة المدروسة هى اللغة العربية • وقد استطاع ميتشل أن يطبق تطبيقا جيداً مفهوم فيرث لسياق الحال ، ومنذ ذلك الحين توالت المختصرات والمداخل التى يحاول فيها اللغويون دراسة السياق الخاص بنص من النصوص، ولعل أشهرها ما قام به عالم الأنثروبولجيا الأمريكى ديل هايمز Dell Hymes فى بحث له عن علم أعراق الاتصال ethnography of communication (١٩٦٧) فقد اقترح مجموعة من المفاهيم لوصف سياق الحال تماثل ما عند فيرث من جهات عديدة.[2]

(1) Butler . Ch.S. (1985) P . 4-5.

(2)Halliday , M .A . K . & Hassan , R . (1990) P . 8 .

على أن عناية فيرث اللغوى بسياق الحال لم تجعله يهمل سـياق المقال فذهب إلى أبعد مما انتهت إليه جهود مالينوفسكى الأنثروبولوجية والعرقية ، فرأى أن العناصر النحوية لها وظيفة فى السياقات النحوية ، والعناصر المعجمية لها وظيفة فى السـياقات المعجميـة ، والعنـاصر الفونولوجية لها وظيفة فى السياقات الفونولوجية ، وهى كلها لا بـدّ أن تكون موصولة بمادة نصية محددة. [1] وهو بهذا يقترب اقتراباً شديداً من مفهوم التوزيع distribution فى البنيوية الأمريكية من دون أن يعنـى هذا اهتماماً باللغة بوصفها نظاماً شكليا كما هى الحال عند البنيويين ، بل اللغة عنده جزء من النشاط الاجتماعى. [2]

وقد بنى فيرث على مفهومه للسياق مفهومه للمعنـى ، فـالمعنى عنده هو الوظيفة فى السياق حالاً ومقالا ؛ فالعبارة أو جـزء منـها لا تكـون عنـده ذات معنـى إلا إذا اسـتعملت علـى نحـو ملائـم فى سياق صحيح[3] وقـد ذكر فيرث مثالاً من اللغة الإنجليزيـة هـو "say when " (قل : متى) فهذا القول يفهم بطرائق متعددة بناءً علـى السياقات التى يقال فيها ، وليس من الممكن تحديد معناه إلا فى إطـار سياق محدد . [4]

---

(1)Bulter, ch.S. (1985) P.5

(2)Helbig, G. (1981) S.110.
Firth, J.R. (1957) P. 181.

(3) Lyons, J: Firth's Theory of "Meaning" in: Bazel, C.E. – Catford, J.C. – Hallidany, M.A.K. – Robins, R.H.: (eds.) 1966. In Memory of J.R. Firth. Longman., P. 290.

(4)Firth. J.R. The Tongues of Men and speech. London (1964) P.110.

لقد استبعد فيرث التفسير العقلى للمعنى الذى جاء به أوجدن وريتشاردز من حيث هو علاقة بين الأشياء والرموز ، ورأى المعنى تحدده العلاقة بين المواقف وتوزيع العناصر اللغوية ، ولذلك يجب أن يفهم على أنه علاقة سياقية . إنه يسوى بين المعنى meaning والوظيفة function فكلاهما استعمال صيغة لغوية فى علاقة سياقية، أو هما مركب من العلاقات السياقية a complex of contextual relations ، وهو بذلك مصطلح جامع لكل الوظائف التركيبية التى تقوم بها اللغة، وهو بهذا يتجنب كل التفسيرات العقلية ، وما يتصل بها من مفاهيم كاللغة والفكر ، والدال والمدلول ، واللفظ والمعنى. [1]

ومن هنا كان مفهوم المعنى بوصفه وظيفة فى السياق يمثل وجهة نظر فيرث الأساسية للغة ، وقد عبر عن ذلك فى بحث كتبه سنة ١٩٣٥ قائلا : " علم اللغة كله دراسة للمعنى ، والمعنى كله وظيفة فى السياق". [2] ولهذا وصف مثال سابير : قتل الفلاح فرخ البط The farmer killed the duckling بأنه " هراء " لأنه عجز عن تصور سياق مناسب قيل فيه. [3] لقد كان المعنى عند فيرث حجر الزاوية فى النظرية النحوية ، وكان يرى أنَّ عمل اللغوى ينبغى أن ينصب كله على المعنى ، ولهذا لم يكن يرى سبباً لتخصيص مستوى من مستويات الدرس لعلم الدلالة. [1]

---

(1)Helbig, G. (1981) S.111.
- De Beaugrande, R. (1991) P.203
- كمال بشر : التفكير اللغوى ص ١٣٤.

(2)Hallidan, M.A.K. & Hasan, R. (1985) P.8.

(3) Firth, J.R. (1957) P. 24

من مستويات الدرس لعلم الدلالة. [1]

وقد ووجه فيرث ، وهو يسعى إلى تطوير منـــهج للبحـــث يمـــدّ الباحث بوصف متماسك للغة ، ببعض المشكلات ، لعل أهمها[2]:

١ - إذا كان معنى العناصر اللغوية يعتمد على السياق الثقـــافى culture context فإننا فى حاجة إلى تأسيس عـــدد مـــن الفصائل تربط المادة اللغوية بالسياق الثقافى.

٢ - ينبغى أن يكون تحديد المعنى بأنه وظيفة فى السياق قائمـــاً على أساس شكلى formal حتى يكون مبدأ يصح العمل بـــه على امتداد النظرية.

٣ - ينبغى أن تضمن النظرية اطراد الوصف ، وعليها أن تتيـــح للباحث عقد صله بين وظائف الوحدات الصغرى فى السياق ووظائف الوحدات الكبرى.

وقد حاول فيرث أن يحلّ هذه المشكلات بصياغة مفهوم الجـــدول paradigm الذى يضم أنماط الصيغ التى تكون عليها الكلمـــات فـــى النظام النحوى ، ومفهوم الضميمـــة syntagm التـــى تـــتركب مـــن عنصرين أو عـــدد من العناصر اللغويـــة لها معنى تركيبى ، فضـــلاً

---

(1) Kress, G. (1976) P. xiv

(2) Ibid, P. xi.

عن مفهوم التركيب structure . [١]

وقد لفت فيرث إلى أنّ كثيراً من اللغويين قد يتفقون على الطرائق التى تستخدم فى وصف البنية الظاهرة للغة ، لكنهم لا يتفقون أبداً علـى وصف الوحدات الثقافية والاجتماعية ، وهذا يعنى أنه لا اللغويـون ولا علماء الاجتماع حاولوا الربط بين وصف الوحدات اللغويـة ووصـف الوحدات الثقافية والاجتماعية ، وتأسيس الفصائل التى يتحقـق بهـا هـذا الربط . وكان قد أحس بهذه المشكلة فى مرحلة مبكرة من حياتـه العلمية ، وألمح إليها إلماحاً فى بحثـه المـهم: تقنيـة علـم الدلالـة Technique of semantics سنة ١٩٣٥ ، وظل يفكر فى حلّ لها حتـى وضع الإطار الذى أشرنا إليه لوصف سياق الحال. [٢]

لقد كان الربط بين اللغة والسياقين الثقافى والاجتماعى اللذيـن تستخدم فيهما اللغة مستحيلا فى نظره إلا إذا رأينـا السـلوك اللغـوى شكلاً من أشكال السلوك الاجتماعى ، من ثم فإن كل النظريات الشكلية التى ترى اللغة نظاما ذاتيا مستقلا self contained system عـاجزة فى نظره عن القيام بهذه المهمة. [٣]

وعلى الرغم مما قدمه فيرث من تطوير للبحث اللغوى تمثل فـى جانبين لا يزالان يرتبطان باسمه حتى الآن همـا النظريـة السـياقية

---

(1)Ibid, xi

(2)Ibid , xii

(3)Ibid , xii f .

للمعنى، والتحليل التطريزى[1] فقد تعرضت نظريته اللغوية للتجاهل والنقد ، إذ تجاهلها اللغويون فى الولايات المتحدة الأمريكية خاصة تجاهلاً كبيراً ، بالرغم من أنهم أفادوا من بعض جوانبها إفادة محققة ، ويكفى أنهم اخترعوا التحليل التطريزى من جديد واضعين له مصطلح الفونولوجيا القطعية الذاتية autosegmental phonology من دون إشارة إلى مصدرها الأصلى وهو فيرث[2]

وقد أخذ الباحثون على فيرث مأخذين جوهريين:[3]

أحدهما : أن فيرث لم يقدم نظرية متكاملة ، ولم يشرح أفكاره شرحاً منظما واضحاً ؛ فمعالجته النظرية لا تظهر إطلاقا فى نموذج متكامل ، بل هى مسائل معزولة، لا تظهر الروابط الجامعة بينها ، ولا العلاقة التى تحكمها.

الثانى: أن فيرث لم يقدم منظومة من المصطلحات أو الفصائل تتحدد بها جوانب نظريته ، بل إنه لم يحدد مصطلح " الوظيفة فى السياق " الذى أخذه عن مالينوفسكى ، فلم يبين السياقات التى تستخدم فيها العناصر اللغوية ، ولا كيف يكون كل منها ذا صلة بالآخر.

---

(1)Lyons , J . (1966) P . 288

(٢)جفرى سامسون : مدارس اللسانيات ص ٢٧٧

- Butler , Ch . S . (1985) P . 12 f

(3) Kress, G. (1976) P. XV.

وكان أكثر ما وجه إليه من نقد بعد ذلك منصبا علـــى مفهومــه للمعنى . وقد أفرد ليونز بحثا جعل عنوانه : نظرية المعنى عند فيرث ، نشره سنة ١٩٦٦ وقدم فيه نقداً مفصلاً لهذا المفهوم عند فيرث.[١]ويبدو أنَّ أهداف فيرث من البحث الدلالى تختلف اختلافاً بينـا عـن أهـداف البحث الدلالى عند ليونز ، ولا أدل على ذلك من أنّ ليونز حاول فـى مؤلفاته الخاصة بعلم الدلالة البنيوى تجنب بحث التنوعات السياقية مـع تسليمه بأهميتها ، أما فيرث فكان الهدف الأساسى عنده هو بحث العلاقة بين اللغة والسياق الذى تستخدم فيه. ومن المؤكد أن نظرية فيرث لفتـت الأنظار إلى أثر العلاقات الأفقية **syntagmatic relations** فى المعنى، وبخاصة فيما يتصل بالتلازم **collocation** على نحـو لـم يسـتطع الباحثون فى علم الدلالة البنيوى القيام به.[٢]

على أن التقدير المتوازن لعمل فيرث يقتضى أن نميز كثيراً مـن أفكاره على أنها ردّ فعل للاتجاه ذى النظام الواحد عند السوسـيريين ، وبعض النظريات التى تقصى المعنى عند البنويين الأمريكيين ، لكننـا فى الوقت نفسه لابدَّ أن نسلم بما شاب عمل فيرث من فقدان الوضـوح والتماسك.[٣] ومن ثم كانت الحاجة ماسة إلى وضع إطار نظرى واضح ومتماسك لأفكار فيرث ، فعزم واحد من أنجب تلاميذه هو هاليداي على أن يقوم بما لم يقم به فيرث ، فشرع فى نشر أبحاث متتابعة منذ سـنة ١٩٦١ حاول أن يقدم فيها إطاراً واضحاً ومتماسكا لنظرية فى التحليـل

(1)Lyons, J. (1966) P. 288 ff

(2)Butler. Ch.s (1985) P 10

(3)Malmkjær. k (1991) P 385

اللغوى تقوم على أفكار فيرث كما فهمها عنه ،[1] ثم تطويرها والبناء عليها ، ومازال بها حتى أصبحت نظرية خاصة به كما يتضح ذلك إن شاء الله فى الباب الثانى من هذا البحث .

ولعلّ أهم ما أفاده هاليداي من فيرث ومالينوفسكى ، واستثمره فى وضع نظرية لغوية محكمة مايأتى :

١ - استثمر هاليداي ما قام به فيرث من تهيئة المكونات اللغوية linguistic components لتتلاءم مع المكونات الاجتماعية والثقافية ، فأفاد على وجه الخصوص من مفهومين أساسيين هما : سياق الحال ، والنظام.[2] وقد طور هاليداي المفهوم الأول وأحكمه ، وجعل الثانى الفصيلة الأساسية فى نظريته اللغوية ، بل توصف به النظرية كلها كما سيأتى.

٢ - تبى هاليداى وجه نظر فيرث التى تقوم على تعدد الأنظمة polysytematicism لتفسير تشعب الظاهرة اللغوية .

٣ - أفاد هاليداي مما قدمه فيرث عن التلازم collocation فى تصوره للمعجم lexis، [3] ومما قدمه فيرث عن التوارد colligation فى تصوره عن النظام وشبكات الأنظمة .

---

(1)Robins, R.H. (1980) P. 282

(2)Kress, G. (1976) P.xiv

(3)Ibid P. xiv.

٤ - تبنى هاليداي مفهـوم كل من مالينوفسـكى وفـيرث عـن "المعنى وظيفة فى السياق " فرأى أن المعنى هو الوظيفـة والوظيفة هى الاستخدام ، فاستخدامنا اللغة هو معناها.

٥ - أفاد من الوظائف التى حددها مالينوفسكى للغة ، وثمة صلـة نسب وثيقة بين وظائف اللغة عند مالينوفسـكى ووظـائف اللغة عند هاليداي(١)

٦ - أفاد هاليداى من أفكار مالينوفسكى عن أثر التاريخ العرقـى فى التطور اللغوى ، فقد كان مالينوفسكي يـرى أن اللغـة تتطور استجابة لحاجات المجتمع الذى يستخدم اللغة ، وقـد استثمر هاليداى ذلك فى دراسته للغة الطفل فرأى أن دراسة لغة الطفل تعيننا على إدراك المراحل التى تطـورت فيـها اللغة ذاتها ، فإذا كنا لا نملك عينات حية من هذه المراحـل التاريخية للتطور اللغوى فإننا نستطيع أن نجد شاهداً عليـها من دراستنا للغة الطفل وكيفية استعماله لها. (٢)

٧ - يلتقى هاليداى مع مالينوفسكى وفيرث فى أنّ اللغة ينبغـى أن تدرس بوصفها ظاهرة اجتماعية ، والكشـف عـن أنمـاط العلاقات بين النظام اللغوى والتركيب الاجتماعى والثقـافى لمستخدميها هو أهـم ما ينبغى أن يعنى بـه الباحثون فـى اللغة.

---

(١)انظر الفصل الذى كتبه هاليداي عن وظائف اللغة فى

- Halliday, M.A.K. & Hasan, R. (1991)P. 15-28.

(2)De Beaugrande, R (1991) P. 226.

ولعلّ مما يلفت النظر أن هاليداي لم يستثمر ما قدمه فيرث عن التحليل التطريزى الذى يعده أنصار فيرث ومعارضوه أهمّ إنجازا له.(١)

على أنّ هاليداى لم يقتصر على ما أفاده من مالينوفسكى وفيرث ، بل ضمّ إليهما وورف ، وهلمسلف ، ومدرسة براغ.

ويعدّ بنيامين لى وورف B.L . Whorf (١٨٩٧ــ١٩٤١) أحد المصادر الأساسية التى استقى منها هاليداي الأفكار التى أقام عليها نظريته اللغوية(٢)وكان وورف ، وهو تلميذ لإدوارد سابير . E Sapir (١٨٨٤ ــ ١٩٣٩) ، لغويا نابهاً ثاقب الفهم للغة ، استطاع من خلال دراساته الميدانية للغات الهندية أن يطور أفكار أستاذه ، وأن يضع فرضية عرفت باسمهما معاً Sapir- Worf hypothesis وإن كان لوورف النصيب الأوفى منها حتى إن بعض الباحثين يكتفى بأن يطلق عليها فرضية وورف Whorfian hypothesis (٣)

وهذه الفرضية تقوم على أساسيين جوهريين : (٤)

أحدهما : يسمى الحتمية اللغوية linguistic determinism ،

---

(1)Kress, G. (1976) P.xv

(2)Ibid, P. viii.

(3) MacArthur, T.C (1996): The Oxford companion to the English Language. Oxford University Press P.804.

(٤) محيى الدين محسب (١٩٩٨) اللغة والفكر والعالم. دراسة فى النسبية اللغوية الفرضية والتحقق – لونجمان ص ٢٩.

وهى تعنى أنّ اللغة هى التى تتحكم فى تفكيرنا كله ، وتهيمن على رؤيتنا للعالم ، وتحدد طريقة إدراكنا وسلوكنا من دون وعى منا، فالتجربة الإنسانية تتكون فيما يرى وفق النسق اللغوى المستعمل فى مجتمع بعينه ، واللغة عنده تصنيف وترتيب لجوانب هذه التجربة ، فإذا أردت أن تستخلص نمطا ثقافيا فى مجتمع ما فعليك أن تراقب السلوك اللغوى فيه ٠ من هنا فإن اللغة هى التى تحدد الفكر ، أو هى الفكر ذاته ٠

ثانيهما : يسمى النسبية اللغوية linguistic relativity ، وهى تعنى أن لكل لغة خصائصها التى تتميز بها عن غيرها ، وهذه الخصائص تنتج خصائص ثقافية تميز كل مجتمع عن غيره ٠ من هنا ظهرت الاختلافات واضحة بين اللغات فى تجسيدها لعلاقة الانسان بالعالم ، فاختلاف الأنظمة اللغوية بين لغة وأخرى يؤدى إلى إنتاج أنماط مختلفة من الإدراك ، فاختلاف الأنظمة اللغوية بين اللغات ليس أمراً شكليا يتعلق ببنية النظام اللغوى فى كل منها ، بل هو فى الحق اختلاف أنظمة ذهنية ٠ من ثم كان يرى القول بوجود عالميات لغوية زعماً لا سند لها.

وقد كان وورف معنيا بدلالة اللغة ، وكان يرى أن علم اللغة مهمته الأساسية هى المعنى ، ولعلّ اهتمامه بالمعنى هو الذى نبهه إلى

الاختلافات الواضحة بين اللغات فى تجسيدها لعلاقة الإنسان بالعالم المحيط به.(١)

وكان من أهم العناصر التى اشتملت عليها فرضيته ، واستثمرها هاليداي فى وضع نظريته اللغوية ما يأتى:(٢)

١ - موقفه من العلاقة بين اللغة والثقافة الذى يتمثل فى أن نمط الثقافة عنده مشروط بنمط اللغة .

٢ - نظرته إلى اللغة بوصفها تجسيداً لنظام تصورى conceptual system وما استتبع ذلك من اهتمام بالتمييز بين الصريح أو الظاهر overt والضمنى أو الباطن covert، فالأول ما له ظهور على السطح كفصيلة الجمع مثلاً والثانى ما ليس له ظهور كالسمة حيّ animate.

٣ - محاولته الواضحة وصف الفصائل اللغوية التى نحتاج إليها فى دراسة ما يسمى بالنحو الباطن deep grammar فى لغة من اللغات .

وأما هيلمسلف Hjelmslev (١٨٩٩ - ١٩٦٥) ، فقد أسس فى الدنمارك هو وبروندال Brondal مدرسة كوبنهاجن عام ١٩٣٣ ، وقد عرفت منذ عام ١٩٣٤ بدائرة كوبنهاجن لعلم اللغة Copenhagen

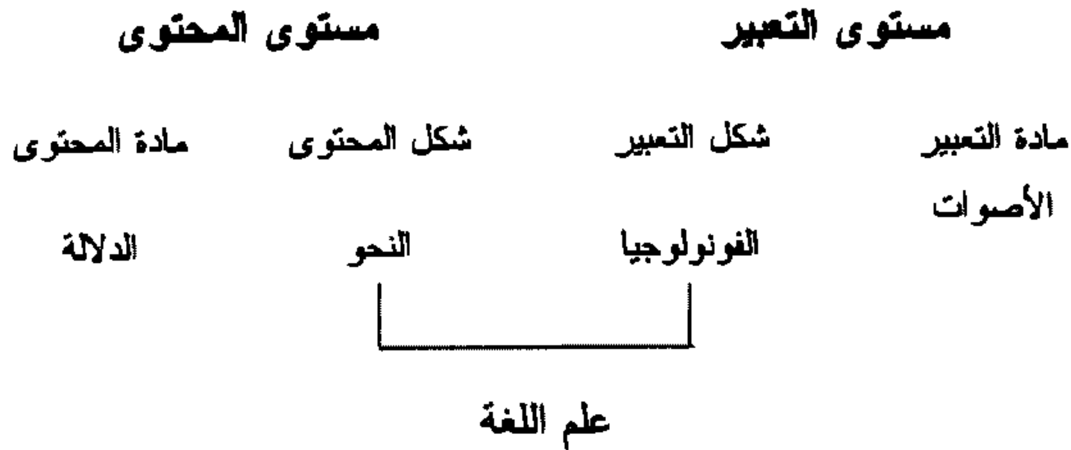
---

(١) السابق ص ٢٧-٢٨.

(2)Kress G. (1976) P.x

Circle of Linguistics ، واكتسبت أهمية عالمية بإصدارها منذ عـام ١٩٣٩ مجلـة Acta Lnguistica التى حملت عنوانـاً فرعيا هـو : المجلـة الدولية لعلم اللغـة البنيـوى International Review of Structural Linguistics • لكن بروندال لم يلبث أن توفى بعد نحـو ثلاث سنوات فانفرد هيلمسلف بقيادة المدرسة.[١]

وتقوم دراسة اللغة فى هذه المدرسة على مستويين أحدهما يسـمى خطة المحتوى content plan والآخر يطلقون عليـه خطـة التعبـير expression plan وفى إطار هذين المستويين فرق هيلمسـلف بيـن الشكل form والمادة substance فنتج عن ذلـك أربعـة مسـتويات يوضحها التخطيط الآتى :



---

(١)ميلكا إفيتش : اتجاهات البحث اللسانى ص ٣١٧ ــ ٣١٨

فمادة التعبير عنده هى المادة الصوتية ، وهى متماثلة فى كل اللغات ، وشكل التعبير هو النظام الفونولوجى الخاص بكل لغة • ومادة المحتوى هى وقائع العالم الخارجى ومظاهره وهى متماثلة فى كل اللغات ، وشكل المحتوى هو النحو الذى يقوم بتنظيم المادة وترتيبها وتحديد العلاقات بينها فى كل لغة• [1]

وقد أطلق هيلمسلف على نظريته اللغوية اسم المنظومية Glossematics وهى تقوم عنده على مستويين اثنين فحسب هما شكل التعبير وشكل المحتوى ، فهى لا تعنى بمادة التعبير وهى الأصوات، بل تعنى بشكله وهو الفونولوجيا، وهى لا تعنى بمادة المحتوى وهى الدلالة، بل بشكل المحتوى وهو النحو • والعلاقة بين شكل التعبير وشكل المعنى تنشأ من خلال قانون الإحلال commutation ، وهو يتحقق حين يطابق تغيير فى شكل التعبير تغييراً فى شكل المحتوى. ولا ينتمى إلى علم اللغة الحق عند هيلمسلف و أصحابه إلا الفونولوجيا والنحو وعلاقة كل منهما بالآخر • أما علم الأصوات وعلم الدلالة فلا يعدوان أن يكونا علمين مساعدين للعلمين المهتمين بتراكيب اللغة. [1]

ويُعنَى هيلمسلف بالنظام system الذى يشمل عنده التركيب والوظيفة معاً ، ويرى أنه ليس من الممكن تحديد علاقة لغوية إلا على أساس من علاقاتها بالعلامات اللغوية الأخرى ، أى على أساس موقعها من النظام • من أجل ذلك سميت هذه النظرية أيضاً النظامية

---

(1) Helbig , G – (1981) S . 60 f.

(1) ebenda , S . 61.

systemology. [1]

وقد أفاد هاليداي إفادة محققة من منظومية هيلمسلف أو نظاميته بخاصة فيما يتعلق بمفاهيم المادة ، والشكل ، والنظام ، والعلاقة بين العلامات اللغوية فضلاً عن تصوره لعلم اللغة ، وقد نظر فى كل ذلك وأفاد منه فى وضع نظريته وبخاصة فى مرحلتها الأولى كما سيأتى .

وتعدّ مدرسة براغ من المصادر التى أفاد منها هاليداي فى نظريته اللغوية[2]وقد تميزت هذه المدرسة بأمور نذكر منها ما كان له أثر فى نظرية هاليداي اللغوية.

الأول : الاتجاه الوظيفى فى دراسة اللغة : فقد حلّل أصحاب هذه المدرسة اللغة بهدف إبراز الوظائف التى تقوم بها مكوناتها البنوية المختلفة فى الاستعمال. على أنهم فى تحليلهم لم يقتصروا على الوصف المجرد ، بل تجاوزوه إلى التفسير ، وقد ميز هذا الاتجاه مدرسة براغ تمييزاً حاداً عن البنيوية الأمريكية والتشومسكية. [3] لقد نظر علماء مدرسة براغ إلى اللغة كما ينظر المرء إلى " محرك " محاولاً أن يتفهم الوظائف التى تؤديها أجزاؤه المختلفة، وكيف تحدد وظيفة جزء معين وظيفة الأجزاء

---

(1) ebenda , S . 63.

(2)Butler , Ch . S. (1985) P . 4

(٣) جفرى سامسون : مدارس اللسانيات ص ١٠٥ ــ ١٠٦.

الأخرى.[1] وقد انبثقت هذه النظرة الوظيفية عندهم من الاهتمام بالجانب العملى من اللغة ، وكان من أهم ما تمخضت عنه النظرة الوظيفية عندهم دراستهم للجملة من وجهة وظيفية functional Sentence Perspective.[2] وقد رأوا أن توظيف الرموز الكلامية مرتبط بثلاثة مكونات للموقف الكلامى: المتكلم والسامع والأشياء وتتنوع رموز الكلام تبعاً لتنوع هذه المكونات ، وكل تنوع ينتج وظيفة من مكونات اللغة ؛ فتنوع الرمز مع المتكلم ينتج الوظيفة التعبيرية expressive ، ومع السامع ينتج وظيفة المناشدة apeal function ، ومع الأشياء ينتج الوظيفية الاتصالية communicative ، ثم الوظيفة الجمالية التى أولاها البراغيون ما تستحق من اهتمام في حين أهملها اللغويون الأمريكيون، وهى تبرز حين يكون استعمال اللغة موضع اهتمام لذاته لا للوظيفة العملية التى يقوم بها.[3] من هنا كانت اللغة تشمل عندهم المظهر العقلى للشخصية الإنسانية ، كما تشمل المظهر العاطفى.[4]

---

(١) السابق ص ١٠٦.

(٢) أحمد مختار عمر : مدرسة براغ اللغوية، فى: مجلة كلية الآداب والتربية، جامعة الكويت عـ يونيه ١٩٧٧، ص٢٢.

(٣) السابق نفسه ص ٢٢.

(٤)ميلكا إفيتش: اتجاهات البحث اللسانى ص ٢٤٩- أحمد مختار عمر (١٩٧٧) ص١٨.

الثانى : تبنى النظرة التركيبية فى دراسة اللغة وتحليلها: فهم يرون أنَّ كل عنصر فى نظام معين تتحدد صفته بالنظر إلى كل العناصر الأخرى فى داخل النظام ، ولا قيمة له إذا أفرد وحده ؛ إنه عندئذ لا يقبل تصنيفاً ولا تحديداً.[1] وقد قادهم اهتمامهم بدراسة اكتساب الطفل اللغة إلى أن الظواهر اللغوية تجرى على نظام، فالأطفال يكتسبون الصوائت الانفجارية قبل الاحتكاكية ، ويميزون الصوائت الأمامية المنبسطة قبل الصوائت الأمامية المستديرة ... الخ.[2] وهم لا ينظرون إلى اللغة على أنها نظام أحادى unitary ، بل على أنها متعددة النظم فى حين كان الوصفيون الأمريكيون يصرون على أنها نظام أحادى.[3]

الثالث : البعد عن الإغراق فى التجريد كما فعل أصحاب المنظومية ، ولم يقتصروا على الوصف الشكلى المجرد دون إشارة إلى المعنى كما فعل بلومفيلد وأصحابه،[4] فاللغة عندهم ظاهرة طبيعية محكومة بعوامل غير لغوية مثل المحيط الاجتماعى والسامعين والموضوع ، ولهذا ميزوا بين التنوعات اللغوية كلغة الصحف اليومية ، ولغة

---

(١) أحمد مختار عمر (١٩٧٧) ص ٢٣

(٢)جفرى سامسون : مدارس اللسانيات ص١٢٦

(٣) السابق ص ١٣٠

(٤) أحمد مختار عمر (١٩٧٧) ص ٢٤

الأعمال الأدبية ، ولغة الشارع ... الخ. كما درسوا دور اللغة فى التباين الاجتماعى فى إطار ما يسمى الوظيفة الاجتماعية للغة. [1]

الرابع : القول بأن اللغة المنطوقة واللغة المكتوبة لا تتطابقان ، بل لكل منهما خصائصه المميزة ، ولا بدّ من فحص العلاقة بينهما. [2]

الخامس : الاعتقاد بأن التقابلات الفارقة مؤسسة على مبدأ الثنائية binary أو الازدواجية dichotomy ، فالوحدات اللغوية تقع فى تقابلات ذات جهتين إذا وجدت فى إحداهما خاصية فارقة غابت عن الأخرى كما فى / t/ و / d/ مثلاً. [3]

تلك كانت أهم المصادر التى أفاد منها هاليداي ، وهى إفادة تملك لا إفادة نقل ، إذ خلط كل ذلك بفكره وتصوره ، ثم أخرجه للناس خلقاً آخر يتمثل فى نظرية لغوية محكمة أصبحت تنسب إليه.

---

(١) السابق ص ١٨ ـ ميلكا إفيتش : اتجاهات البحث اللسانى ص ٢٤٨

(٢) ميلكا إفيتش : اتجاهات البحث اللسانى ص ٢٤٩

(٣)جفرى سامسون : مدارس اللسانيات ص ١١٠ ـ ١١١ .

الفصل الثاني

الأسس المنهجية

على الرغم من أن نظرية هاليداي اللغوية مرت بمراحل ثلاث من التطور فقد ظلت لها ثوابتها ، وهى ثوابت بعضها يتفق مع ثوابت نظريات أخرى معاصرة ، وبعضها يختلف عن هذه النظريات. وغنى عن البيان أن ما تختلف به هذه النظرية عن غيرها هو الذى يميزها ، ويجعل لها شخصيتها التى تعرف بها ، وسماتها التى تتحدد بها. وسوف أعرض في هذا الفصل إن شاء الله عرضا موجزا لما تتفق فيه هذه النظرية مع غيرها ، ثم أفصل الحديث فى الأسس المنهجية التى تمتاز بها عن غيرها •

أولاً ثوابت الاتفاق :

استطاعت مارجريت بري ــ وهى من أكثر الباحثين استيعاباً لهذه النظرية وقدرة على إيضاح جوانبها ــ أن تحدد الثوابت المنهجية التى يتفق فيها علم اللغة النظامى مع غيره من النظريات اللغوية المعاصرة بما يأتى:[1]

١ – يتفق علم اللغة النظامى مع غيره من المدارس اللغوية المعاصرة فى المسائل اللغوية العامة كدراسة اللغات الطبيعية ، وماهية اللغة ، وكيفية عملها ، والاهتمام بوصف لغات بأعيانها والمقابلة بينها ، ودراسة التنوعات اللغوية varaieties (أى تفرغ اللغة إلى لهجات ، ودراسة لهجة منها أو لغوة (= لهجة

(1) Berry, M. (1975): An Introduction to Systemic Linguistics I Structures and Systems. B.T. Bastford London and Sydney.P.21 ff.

محلية) أو لغة طائفة اجتماعية معينة ، فضلاً عن الاهتمام بالتطبيق فى مجالات متعددة.

٢ – علم اللغة النظامى كغيره من المدارس اللغوية المعاصرة يتبنى الاتجاه الوصفى discriptive فى مقابل الاتجاه المعيارى prescriptive.

٣ – علم اللغة النظامى كغيره من المدارس اللغوية المعاصرة على أن ثمة مناهج متعددة لدراسة اللغة ، وأن المنهج الذى ينتهجه ليس المنهج الممكن الوحيد ، فهو يقدم رؤية لدراسة اللغة لا تلغى أية رؤية غيرها ، أو تقلل من شأنها .

٤ – علم اللغة النظامى كغيره من المدارس اللغوية المعاصرة يتصف بالتبصُّر insightfullnis والتماسك coherence ، والثبات consistancy والوضوح explicitness .

٥ – علم اللغة النظامى كغيره من المدارس اللغوية المعاصرة يرى أن دراسة اللغة يجب أن تكون مستقلة autonomous على الرغم من ارتباطها بعلوم أخرى كعلم النفس ، والاجتماع ، والأنثروبولوجي، والنقد الأدبى ... الخ. وأنه لابدّ من وضع نموذج Model يمثل الإطار النظرى للبحث عندهم ، ويضعون مصطلحاته ويحددون مفاهيمه، ويجتهدون فى الوصول إلى تحقيق موضوعى لفروضهم.

ولعل أقرب المدارس المعاصرة إلى علم اللغة النظامى النحو الطبقاتى (= التنضيدى) stratificational grammar (لامب ١٩٦٦) والقالبية tagmemics (بايك ١٩٦٧) ، ولعلّ أبعدهما عنه النحو التحويلى التوليدى[١] على الرغم من أنّ ثمة محاولات بذلت للتقريب بينهما ، فقد حاول هدسون Hudson (فى السنوات ١٩٧١ ، ١٩٧٤ ، ١٩٧٦) أن يقرب النحو النظامى من النحو التوليدى، كما أن هناك تشابهاً ملحوظاً بين النحو النظامى وبعض نماذج النحو التحويلى التوليدى (كما فى نموذج فلمور Fillmore, 1968).[٢]

وأما ما يتميز به علم اللغة النظامى من أسس منهجية يختلف بها عن غيره فقد أوضح بعضها هاليدى نفسه فى مواضع متعددة من أبحاثه، وأشار بعض الباحثين إلى بعض آخر، ويمكننا أن نجمعها ونحددها على النحو الآتى:

أولاً دراسة اللغة من وجهة نظر سيمية اجتماعية social – semiotic:

ذكر هاليداي نفسه أنّ دراسة اللغة من هذه الوجهة تعدّ ملمحاً خاصًّا من تفكيره منذ أصبح مهتما بدراسة اللغة[٣] وأخذ يشرح المقصود

---

(1)Ibid , P22 .

(2)Ibid , P22.
Malmkjær , K . : Systemic Grammar , in : Malmkjær, K(ed.) 1991 The Linguistics Encyclopedia . London and New york – P . 451.

(3)Halliday , M . A . K & Hasan , R . (1990) P . 3.

بالدراسة السيمية الاجتماعية.[1] فبدأ بإيضاح المفهوم سيمي semiotic فذكر أنه أخذ فى البداية من مفهوم العلامة Sign و أن الكلمة الحديثة ترجع إلى المصطلحين semainomenon و semainon (الدال signifier والمدلول signified) اللذين استخدما فى الدراسات اللغوية اليونانية القديمة. وقد كان الفلاسفة الرواقيون أول من طور نظرية للعلامة اللغوية فى القرنين الثالث والثانى قبل الميلاد ، وقد أحكم تصورهم هذا للعلامة اللغوية بعد نحو ألف سنة دى سوسير.

وذكر هاليداي أن السيمية أو علم العلامات يمكن أن يعرف بأنه الدراسة العامة للعلامات ، ونبه إلى أن هذا المفهوم أقرب إلى التصور التفتيتى atomistic؛ إذ كانت هناك نزعة إلى عد العلامة شيئاً معزولاً قائماً بذاته يدرس فى المقام الأول لذاته ومن أجل ذاته قبل أن يصبح ذا علاقة بعلامات أخرى ، حتى إننا نجد هذا التصور التفتيتى عند دى سوسير نفسه، على الرغم من تصوره الواضح للغة على أنها مجموعة من العلاقات set of relationships ولهذا رأى أن يعدل هذا التعريف لعلم العلامات ليصبح دراسة لأنظمة العلامات ، ودراسة أنظمة العلامات عنده هى دراسة للمعنى بمفهومه الأعم.

واللغة عنده جزء من علم العلامات قد تكون أشمل أو أعم من غيرها ، لكن ثمة صيغا أخرى كثيرة للمعنى فى أية ثقافة ، وهى صيغ تخرج عن نطاق اللغة كأشكال الفن من رسم ، ونحت وموسيقا ، ورقص ، وكذلك أشكال اللباس، وتركيب الأسرة، وهلم جرا ، إذ هى

---

(1)) Ibid , P . 3 f.

كلها حاملات لمعانٍ فى الثقافة. والثقافة عنده مجموعـــة مـــن أنظمـــة العلامات semiotic systems بينها جميعا علاقات متبادلة. مـــن هنـــا اتجه هاليداي إلى دراسة اللغة بوصفها نظاماً بين عـــدد مـــن أنظمـــة المعنى التى تكون مجتمعة الثقافة البشـــرية human culture .

ثم ثنى هاليداي بإيضاح المصطلح " اجتمـــاعى " [1] social ، فذكر أنه يستخدم استخدامين:

أحدهما : بمعنى النظام الاجتماعى الذى يعـــده مرادفـــاً للثقافـــة culture فإذا قيل : هذه دراسة سيمية اجتماعيـــة بـــهذا المعنى كان المقصود الإشارة إلى نظام اجتمـــاعى ، أو ثقافة ، بوصفه أو بوصفها نظاماً للمعنـــى system of meaning .

الثانى : أكثر تحديداً ؛ إذ يدل على وجه الخصوص على العلاقات بين اللغة والتركيب الاجتماعى. وقد نصّ على أنه حيـــن يختار دراسة اللغة مـــن الوجهـــة الاجتماعيـــة لا ينبـــذ الاتجاهات الأخرى، ولا يقلل من شأنها. قال " الوجهـــة المفضلة لدراسة اللغة عند بعض علمـــاء اللغـــة (مثـــل تشومسكى ١٩٥٧ ولامب ١٩٦٦) هى الوجهة النفســـية، وقد تكون عند بعض آخر وجهة جمالية ، أو غير ذلـــك، لكن الوجهة التى نتبناها أساسا هى الوجهة الاجتماعية ". وهو يرى هذه الوجهة أوفق لما يهتم بـــه مـــن مسـائل

---

(1)Ibid , P 4 .

وقضايا فى دراسة اللغة ، وبخاصة القضايا التعليمية ؛ إذ كان البعد الاجتماعى واحداً من الأبعاد التـــى تجوهلـــت فـــى المناقشات الخاصة بما يسمى " اللغة فـــى التعليـــم language in eduation " فالتعليم قبل كل شـــئ عملية اجتماعية تنقل اللغة فيها المعرفة عبر سياقات ومواقـــف اجتماعية. (١)

وقد كان من بين القضايا الأساسية التى اهتم بها هاليداي الوظائف الاجتماعية للغة، وكيف تقوم اللغة بها ، وكان يـــرى أننـــا إذا امتحنـــا المعانى الكامنة فى اللغة وجدناها تتضمن عدداً ضخماً من الإمكانـــات يمكن تجميعها فى شبكات من الاختيارات أقل عدداً ، وهـــذه الشـــبكات تنسجم مع الوظائف الأساسية للغة. (٢)

من هنا نظر إلى الوظيفة لا بوصفها مرادفاً للاستعمال كمـــا رأى غيره من الباحثين مثل مالينوفسكى ، وبيولر ، وبريتون ، وموريـــس ، بل بوصفها خاصية جوهرية للغة نفسها ، وشيئاً أساســـيا فـــى تطـــور نظامها الدلالى. (٣)

---

(1)Ibid , P 4 f

(2)Halliday , M . A . K : Language Structure and Language Function , in : Lyons , J. ((ed) 1975 : New Horizons in Linguistics . Penguin Books . P. 142

(3)Ibid , P 141

ووظائف اللغة عنده هـي[١]

١ـ الوظيفة الفكرية : ideational :

وتتمثل في التعبير عن المحتوى content ، أي خـبرة المتكلـم بعالم الواقع بما فيه العالم الداخلى inner world لوعيه conciousness الخاص.

٢ـ الوظيفة التبادلية : interpersonal function :

وهى الوظيفة التى تؤسس العلاقات الاجتماعية وتحافظ عليها مـن خـلال ابتكارهـا أدواراً اجتماعيـة تشـمل أدوار الاتصـال communication roles كالسائل والمجيب مثلاً ، ثم من خلال تبـادل الخبرات والمنافع بين شخص وآخر.

٣ـ الوظيفة النصية textual function :

وهى التى تجعل المتكلم قادراً على بناء النصوص ، أو الربط بين أجزاء الخطاب الواحد بما تقدمه له من وسائل الربط وخصائص السياق الذى تستخدم اللغة فيه ، وهـى التى تجعل السامع أو القارئ يميز نصا من مجموعة عشوائية من الجمل.

وقد عنى هاليداي ببيان كيف تؤثر هذه الوظائف فـى تركيـب الجملة الأساسية فى اللغة الإنجليزية. [٢]

---

(1)Ibid . P . 143

(2) Ibid . P . 145 ff.

ثانيا : النحو اختيار :

يقوم النحو عند هاليداي على مفهوم الاختيار ، فـــالمتكلم بلغـــة ما، مثله مثل من يقوم بأي نوع من أنواع السلوك الثقافى أو الاجتماعى ، يختار من بين إمكانات كثيرة تتيحها له الأعراف اللغوية والاجتماعيـة والثقافية السائدة فى مجتمعه. [1]فإذا أراد المتكلم بالإنجليزيـــة مثـــلاً أن يتحدث عن شخص أو أشخاص فقد يختار أن يتحدث عن فـــرد ، وقـــد يختار أن يتحدث عن جماعة ، ونحو الإنجليزية يمكنه من أن يختار بين المفرد والجمع ، وإذا اختار المفرد فقد يريد للحديث أن يكـــون عـــــن شخص يتكلم الآن ، أو عن شخص يكلمه الآن، أو عـــن شخص ليـــس حاضراً وقت الكلام ، ونحو الإنجليزية يتيح له أن يختار بيـــن المتكلـــم والمخاطب والغائب ، وإذا أراد أن يخبر عن حدث وقع أو حدث يقـــــع وقت التكلم أو حدث سيقع بعد المتكلم فنحو الإنجليزية يتيح له أن يختار بين الماضى والحاضر والمستقبل فى درجات متفاوتة مـــن القـــرب أو البعد، والاستمرار أو الانقطاع[2]... الخ.

ومن ثم يصبح وصف الجملة أو العبـــارة تحديـداً للاختيـــارات التى قام بها المتكلم من مجموعة الاختيارات المتاحة له، choices وهو فى الوقت نفسه تحديد لعلاقة ما وقع عليه الاختيار بما لم يقـــع عليـــه الاختيار ، فاختيار جملة مثل : زيد ألقى الكرة له علاقة بجمل أخـــرى

---

(1)Hallidany , M . A . K . (1969) : A brief sketch of systemic grammar in : Kress , G. (ed) : Halliday : System and Function in Language . Oxford University Press 1976 P . 3

(2)Berry , M . (1975) vol . 1 P . 143 – 144

وثيقة الصلة بهذه الجملة لكن لم يقع عليها الاختيار مثل ألقى زيد الكرة، الكرة ألقى زيد ، الكرة ألقاها زيد، لا تلق الكرة يـــا زيـــد ، الكــرة ألقيت... الخ.

فكل جملة منها تختلف عن الأخرى بالنظر إلى اختيارات محـددة، ووصف الجملة لا يعدو أن يكون وصفا لاختيارات تمت فعلا. ففى جملة "ألقى زيد الكرة " يظهر أنّ الصيغة الخبرية هى المختارة، وفـى ذكـر المفعول به دليل على أن تعدية الفعل إلى مفعول به اختيرت ...وهكـذا. وكل عنصر من عناصر هذه الجملة يمثل اختياراً قام به المتكلـم عنـد التخطيط لها. (١)

ويظهر فى الجملة السابقة أنّ بعض الوظائف النحوية قد أدمج فى بعض، فقد أدمجت فى زيد وظيفتا الفاعل actor والمسند إليه subject، لكن هذا ليس أمرا لازما ، ففى قولنا " الكرة ألقيت " يظـهر أن الكـرة مسند إليه وليست فاعلا ، بل هى مفعول به فى المعنى goal ، والمتكلم هو الذى يختار أن يدمج وظيفتين فـى عنصـر لغـوى واحـد أو لا يدمجهما. (٢)

ثالثا : النحو شبكة من الأنظمة :

النظام system واحد من الأسس المنهجية المهمة التى تقوم عليها هذه النظرية، حتى إنها لتنسب إليه نظراً لما له من أهمية بالغـة فـى التصور الأساسى للتحليل النحوى. وقد لفت هاليداي إلى أن مصطلـح

---

(1)Hallidany , M .A.K. (1969), in : Kress , G (1976) P . 4 f.

(2)Ibid , P . 6

نظامـــى systemic ينبغى ألا يلتبس بانتظامى systematic ، فـــالأول يستخدم للدلالة على أن التصور الأساسى للنحو يقوم على النظام، أمـــا الثانى فيستخدم فى علم اللغة غالباً بمفهومه العام المستخدم فى لغة الحياة اليومية وصفا لعلم الأصوات والفونولوجيا.(١)

والتحليل النحوى عند هاليداي يقوم على مجموعة مـــن الأنظمـــة تتضافـــر كلها مكونة شبكات من الأنظمة، وهـــذه الشبكات من الأنظمة هى اللغة ، فاللغة عنده هى نظام أنظمةsystem of systems.(٢)

والنظام شبكة من العلاقات تتمثل فى مجموعـــــة محـــددة مـــن الاختيارات يختار منها المتكلم عنـــد كـــل إنتـــاج كلامـــى(٣)، وهـــذه الاختيارات هى فى الأساس اختيارات معانٍ(٤) وأبرز سمة من ســـمات النظام هى أنه مغلق أى يتألف من عناصر محددة يحصرها العدّ ، وهذه هى السمة الفارقة بين النحو grammar والمعجم lexis ، فالنحو يقـــوم على الاختيار من نظام مغلق ، أما المعجم فيقوم على الاختيار من قائمة set مفتوحة. مـــن ثم فإن على النظرية اللغوية أن تعدّ كلا منهما نمطاً

---

(1) Ibid , P . 3

(2)Berry, M(1975) P . 31f

Crystal , D . (1994) : A Dictionary of Linguistics and Phonetics . B . Blackwell – p . 343

(3)Mindt, D. (1975) Sprachtheorie M.A.K . Hallidays , in : Moderne Linguistik. Düsseldorf . p. 146

(4)Richards, J . C . – platt , J . – platt , H (1992) Dictionary of Language Teaching & Applied Linguistics – Longman . p . 371

مختلفاً عن الآخر ، وأن تقدم لنا نظريتين اثنتيـــن : نظريـــة للنحـــو ، ونظرية للمعجم مع بيان العلاقة بينهما. [١]

على أن اللغة لا تتكون من أنظمة منفصل بعضهـــا عن بعـــض ، بل تتشابك وتتداخل مكونة شبكة من نظام أعم يفضى فيه بعض الأنظمة إلى بعض ولا بدَّ من تحديد الموضع الذى يفضى فيه نظام إلى نظـام أو ما يسمى نقطة الدخول point of entry ، ولا يدخل نظام إلى نظام إلا إذا تحقق له شرط الدخول entry condition. [٢]

واختيار عنصر ينتمى إلى نظام معين قد يتوقف علـــى اختيـــار عنصر من نظام آخر ، ويكون ذلك بإحدى طريقتين : أولاهما أن تكون الاختيارات بعضها مستقل عـــن بعـــض فالأنظمـــة عندئـــذ متزامنـــة simaltaneous والثانية أن تكون الاختيارات بعضها معتمد على بعض فتكون الأنظمة متراكبة أو متدرجة jerarchial ،[٣] وسيأتى بيان ذلك.

وشبكة الأنظمة غير محصورة ولا محدودة ، بل هى تتسع وتتعدل بما يضاف إليها من أنظمة إذا تحققت لها شرائط الدخول • مـــن هنـــا أمكن القول إن نحو أية لغة يتمثل فى شبكة كبرى من الأنظمة ترتـــب فيها الاختيارات ترتيبا تزامنيا أو تراكبيا.

---

(1)Halliday, M. A .K: (1964) : Discriptive Linguistics in Literary Studies (Duthie , A (ed) : English Studies Today : Third Series. Edinburgh University Press .P 22,35.

(2) Halliday , M.A.K.(1969) P . 3 f .

(3)Ibid P . 3

- Berry , M. (1975) vol. 1 P . 147

رابعا : العلاقة الوثقى بين اللغة والسياق :

من الأسس المنهجية التى يقوم عليها علم اللغة النظامى عند هاليداي العلاقة الوثقى بين اللغة والسياق. تقول مارجريت برى: " أشد ما يتمسك به اللغويون النظاميون منذ أيام علم اللغة الفيرثى ، مروراً بنحو المقياس والفصيلة ، حتى أحدث ما توصل إليه علم اللغة النظامى نفسه هو الاهتمام بالعلاقة بين اللغة والجوانب المتنوعة للسياق الذى تستخدم فيه ".[١] والسياق هو الذى يصف العلاقة بين الصيغ اللغوية والوقائع غير اللغوية ، أى يربط المعانى الوظيفية للعناصر اللغوية بالمعانى المقامية التى تلابس الحدث اللغوى.[٢]

وهذه العلاقة تؤدى بنوعين من المعانى : المعنى الشكلى formal والمعنى السياقى contextual ، فالمعنى الشكلى هو العلاقة بين العنصر والعناصر اللغوية الأخرى ، هو قدرته على التوارد مع عناصر أخرى والتقابل معها ، وما يمكن أن يتعاقب معه منها ومعنى المعنى بهذا المفهوم بعيد كل البعد عن الاستخدام المعتاد له. والمعنى السياقى هو نتاج الربط بين النص والموقف الذى يتجلى فيه أو يكبسل فيه أى بين نظام وظيفى للغة وبيئة اجتماعية وثقافية تحكم استخدامه.[٣]

---

(1)Berry , M. (1977) vol . 2 P . 133

(2)Halliday , M.A.K (1961): Categories of the theory of grammar , in: Kress,G.(ed) (1976):Halliday:System and Function in Langage . Oxford Universtiy press London P.53

- Mindt, D. (1975) S.140, 141

(3)Berry , M. (1977) vol . 2 P . 115

- Mindt , D. (1975) S . 147 f .

ولا يكفى فى تحديد السياق المعنى الشكلى وحده ، ولا المعنى السياقى وحده ، بل لا بدَّ معاً. ومن الأفضل عندهم البدء فى التحليل بالمعنى الشكلى ، ثم الوصول من بعده إلى المعنى السياقى ، فالمعنى السياقى يعتمد منطقيا على المعنى الشكلى ، بعبارة أخرى قبل أن نستطيع وصل اللغة بالموقف – كما كان يريد فيرث – من الضرورى أن نقدم وصفاً دقيقاً للأنظمة اللغوية،[١] وهذه الأنظمة شبكات من العلاقات تتألف منها وتحققها تراكيبها .

ويرى هاليداي أن اللغة لا تفهم إلا إذا كانت فى نصوص، والنصوص لا تفهم إلا إذا كانت فى سياقاتها الاجتماعية والثقافية، فهو من ثم يرى النص والسياق جانبين لعملية واحدة. فهناك نص، ونص آخر مصاحب له ، هذا النص المصاحب con – text هو السياق[٢] وهو لا يمدنا – كما رأى مالينوفسكى من قبل – بمعلومات عما يحدث وقت التكلم فحسب ، بل بالخلفية الاجتماعية والثقافية لكل من المتكلم والسامع، أو التاريخ الاجتماعى والثقافى الكامن وراء حديث كل من المشاركين. [٣]على أن السياق عنده ليس محيطا ماديا فحسب ، بل هو بنية سيمية semiotic structure عناصرها الأعراف الاجتماعية والقيم الثقافية المأخوذة من النظام السيمي الذى يكون الثقافة. [٤]

---

(1) Halliaday, M.A.K. (1961) ,in Kress, G.(ed) 1976 P. 53.

(2) Halliaday, M.A.K. & Hasan, R. (1990) P . 5

(3) Ibid , P . 6f

(4) Kress , G. (ed) 1975 P . xxi

- Butler , Ch.S. (1985) P . 64

لقد قام هاليداي بتطوير مفهوم سياق الحال الذى قدمه كل من مالينوفسكى وفيرث، فقدم تصوراً رآه أكثر ملاءمة لنظريته، وهذا التصور يقوم عنده على مفهوم التنبؤ ، وهو كما يقول متصل بحقيقة شديدة الأهمية هى أنّ الناس بصفة عامة يفهم بعضهم بعضا برغم ما نلحظه فى أحايين كثيرة من إخفاق الاتصال الذى يعدّ مشكلة حقيقية فى المجتمعات المعاصرة يسعى المهتمون بالإعلام ووسائل الاتصال إلى حلها والحق أنه ينبغي أن ندهش من نجاح الاتصال لا من إخفاقه ، فما هو جدير بالملاحظة هو : كيف يفهم الناس بعضهم بعضا على الرغم مما يحيط بهم من ضوضاء ؟ ، وكيف نفسر نجاح الناس فى اتصال بعضهم ببعض؟[١]

ويذكر هاليداي أن الإجابة المختصرة عن ذلك فيما يرى أننا نعرف ما سوف يقوله الآخرون، إن لدينا دائما توقعا لما يمكن أن يقال، ولهذا نادرا ما نفاجأ مفاجأة تامة بما يقال، قد نفاجأ مفاجأة جزئية لكنها ستكون دائماً فى إطار ما نتوقع حدوثه ، وهذه هى أهم ظاهرة فى الاتصال البشرى. إننا نقوم بالتنبؤ دون وعى ، بطبيعة الحال ، وهذا هو الذى يجعلنا نفهم ما يقال. [٢]

ويرى هاليداي أن ما يهتم به اللغوى هو : كيف نقوم بهذا التنبؤ، والخطوة الأولى نحو الإجابة فى رأيه هو أننا نقوم بذلك من خلال سياق الحال ، فالسياق الذى يحدث فيه التواصل اللغوى يعطى المشاركين قدراً

---

(1)Halliaday. M.A.K. & Hasan, R. (1990) P . 9

(2)Ibid . P . 9

كبيرا من المعلومات عن المعانى التى يتبادلونها ، وعن المعانى التـــى يمكن أن تتبادل. ونوع الوصف لسياق الحال الذى يلائم اللغوى هو ذلك النوع الذى يجعل السامع قادراً على التنبؤ بالمعانى واســتنباط الكيفيــة التى يتواصل بها الناس. [(١)]

وقد قدم هاليداي ثلاثة جوانب تحدد مجتمعةً سياق النـــص، هـــى التى تجعلنا قادرين على التنبؤ بما يقوله الآخـــرون، وهـــذه الجوانـــب هى: [(٢)]

١ـ المجال field :

والمقصود به موضوع النص ، أى ما يدور حوله الخطاب، أو ما يلتقى المشاركون من أجله مثل تسلق الجبال ، أو موسيقا الكـــورال، أو العناية بالحدائق، أو فسيولوجية الأعصاب، أو صيانة السيارات، أو كرة القدم ...الخ . على أن المراد بمجال الخطاب عنده هو المجال الأصلى، لا ما يتفرع إليه الحديث منه ، فمن الممكن فى مجـــال بيـــع الجرائـــد وشرائها أن نتحدث عن الطقس مثلاً ، لكن المجال الأصلى هـــو بيـــع الجرائد وشرائها .أما الحديث عن الطقـــس فـــهو يمثـــل جـــزءاً مـــن الاستراتيجية الخاصة بهذا المجال.

---

(1)Ibid , P . 10

(2) Halliday , M.A.K.(1978) P. 142 ff , 221 ff

- Halliday , M.A.K.(1990) P. 12 f.
- Butler, Ch..S.(1985) P. 64 f.

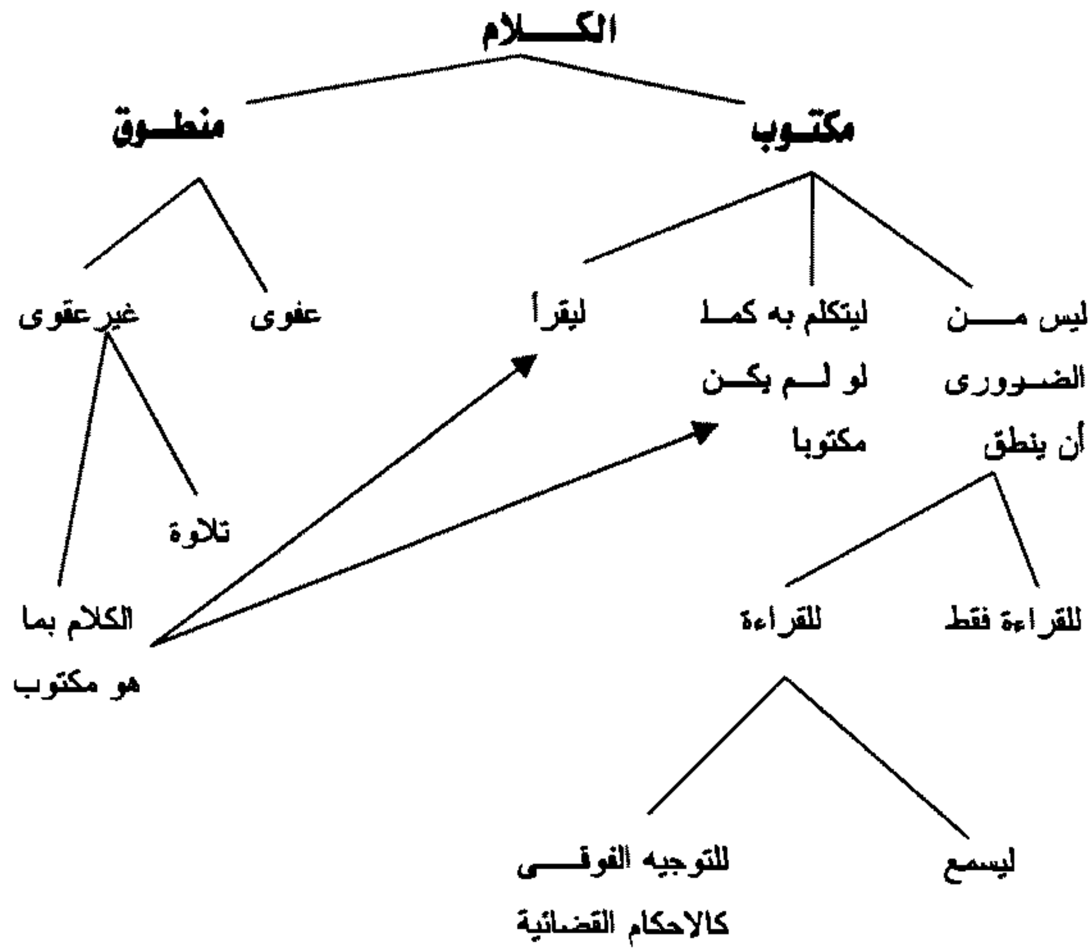
٢ـ نوع المشاركة tenor :

والمراد به طبيعة العلاقة بين المشاركين فى النص ، فقد تكـــون علاقة رسمية مثل علاقة المدير بالموظف ، أو المالك بالمستأجر ، وقد تكون علاقة حميمة كالعلاقة بين الصديقين أو بين الأم وأبنائـــها، وقـــد تكون محايدة كحديث متجاورين فى قطار مثلاً ، ولكـــل مـــن هـــذه العلاقات درجات.

٣ـ الصيغة : mode :

وهى الوسيلة ، أو قناة الاتصال ، التى يتحقق من خلالها النـــص أهى الكتابة أم النطق ، فالصيغة المنطوقة مثل المونولوج (= الحديـــث المنفرد)، أو الحوار dialogue ، والمكتوبة كـــالبحث المرجعـــى، أو المقال فى جريدة • ولكن ثمة صيغاً تتمثل فيها خصـــائص المنطـــوق والمكتوب معاً مثل الخطبة المكتوبة لتلقـــى، ومثـــل نشـــرة الأخبـــار، والمكتوب كما لو كان منطوقـــا كالحوار فى القصص، والمنطـــوق من مكتوب كقصص الأطفال ، والكلام بما هو مكتوب كما لو لم يكن مكتوباً مثل المسرحية. ويتضح ذلك من الشكل الآتى: [١]

(1)Morey, G. D. (1985) : An Intoduction to Systemic Grammar . Macmillam London P.5



ويدخل فى مفهوم الصيغة الدور المحدد الذى تسهم به الصيغة فيما يجرى فى مجال الخطاب، أهو الإقناع أم التهدئة أم البيع ، أم التحكم أم الإيضاح، أم هو مجرد لغو يراد به فتح قنوات الاتصال بين الناس كالذى أسماه مالينوفسكى اتصال التودد phatic communication كالحديث عن الطقس بين متجاورين فى حديقة عامة أو مطار.[1]

---

(1) Halliday , M.A.K.(1978) P. 223

ويفترض هاليداي أننا إذا قارنا النصوص المختلفة فى المجال field فإن أغلب الاختلافات المحتملة بينها سوف تركز على أنماط العملية process والمشاركين ، والظروف ، شاملة التميز المعجمى للموضوعات ذات الصلة، والأشخاص، على حين أننا إذا قارنا النصوص المختلفة فى نوع المشاركة ، فإن الاختلافات فى المعنى سوف تركز على أدوار الخطاب speech roles، وأساليب التخاطب، والتعبير عن المواقف معجميا وتنغيميا ، وغير ذلك مما يميز الأشخاص المشاركين بعضهم عن بعض ، وإذا قارنا النصوص المختلفة فى الصيغة ، فإن الاختلافات سوف تتمثل فى الموضوع theme، والتماسك cohesion .[1]

ويدلل هاليداي على أن هذه الجوانب هى التى تجعلنا قادرين على التنبؤ بما يقوله الآخرون بقوله : تخيل أنك دخلت ، كما نفعل كثيرا فى الحياة الواقعية ، إلى موقف كلامى كان قد بدأ فعلاً، لا يهم الآن أى موقف يكون ، إنك سوف تكون قادراً بأسرع ما يمكن على أن تشترك فى الحوار المتبادل ، فيكف تستطيع ذلك؟ إنك تستطيعه ، فيما أرى ، ببنائك نموذجاً فى ذهنك للمقام ، وأن تقوم بذلك على النحو الآتى : إنك تحدد " مجالاً " بملاحظة ما يجرى ، ثم تحدد " نوع المشاركة " بالوقوف على العلاقة بين المشاركين ، وتحدد الصيغة بملاحظة ما يمكن تحقيقه باللغة . إنك تقوم بتنبؤات عن أنواع المعانى التى تتوقع أن تكون محور الاهتمام فى هذا الموقف الكلامى الخاص. شئ مثل ذلك

---

(1)Butler , Ch . S . (1985) P.66

فيما أعتقــد هو الذى يحدث ، وإلا فمن المستحيل أن نفسر كيف يمكننــا أن نشترك بهذه السرعة فى موقف ما لم نكن نعلم عنه من قبل شيئا. [(١)]

وقد قدم هاليداي تطبيقا لهذه الجوانـــب الســـياقية الثلاثـــة علـــى نصوص متنوعة بعضها شعرى (بيتان من قصيدة بن جونسون إلـــى سيليا) وبعضها نثرى منه ما يتعلق بنوع من النشاط الاجتماعى القانونى وهو عقد الإيجـــار، ومنه ما يتعلق بنص دينى (حديث إذاعـــى دينـــى لاسقف وولونتش). [(٢)]

وقد حدد هاليداي فوق ذلك أنماط المعنى السياقى فحصرها فيمـــا يأتى: [(٣)]

١ـ المعنى التجريبى experiential meaning

وهو المعنى الذى يمدنا بالمعلومات عن إجراءات الموقف المبنيـــة على تجربة المتكلم وخبرته ، وعن المشاركين فيه ، والعلاقات بينهم.

٢ـ المعنى المنطقى logical meaning

وهو الذى يمدنا بمعلومات عن الطريقة التى ترتبط بها الســـياقات الصغرى داخل السياق الأكبر . والنحو هو الذى يمدنا بمعلومات عـــن الطريقة التى ترتبط بها المواقف الصغرى مكونة السياق الأكبر.

---

(1)Halliday , M.A.K.& Hasan , R . (1990) P. 28

(2)Ibid , P. 13 f , 18 ff , 26 ff

(3)Ibid , P. 18 ff
- Berry, M. (1977) Vol.2.P.116 ff.

وكلا المعنيين التجربى والمنطقى ينضمان معاً تحت مصطلح جامع هو المعنى الفكرى ideational meaning .

٣ ـ المعنى التبادلى interpersonal meaning

وهو الذى يمدنا بمعلومات عن الموقف المباشر ، وبخاصة عما يريده المتكلم أو الكاتب من السامع أو القارئ ، وما يتوقعه المتكلم أو الكاتب من سامعه أو قارئه ، فقد يختار العنصر " خبرى " declarative من نظام الصيغة mood ليدل على موقفه الذى يرمى إلى إخبار السامع أو القارئ بشئ ما. إنه يدل على أن المتكلم أو الكاتب لا يتوقع استجابة واضحة من جمهوره. أما إذا اختار العنصر "استفهام" مثلاً فسوف يدل ذلك على أن المتكلم أو الكاتب يتوقع نوعاً من الاستجابة سواء أكانت بكلمات أم بحركات جسمية من السامع أو القارئ. وإذا اختار عنصر " الأمر" فهذا يدل على أن المتكلم أو الكاتب يتوقع نوعاً من الفعل أو الحدث action استجابة لهذا الأمر.

٤ ـ المعنى النصّى textual meaning :

وله وظيفتان :

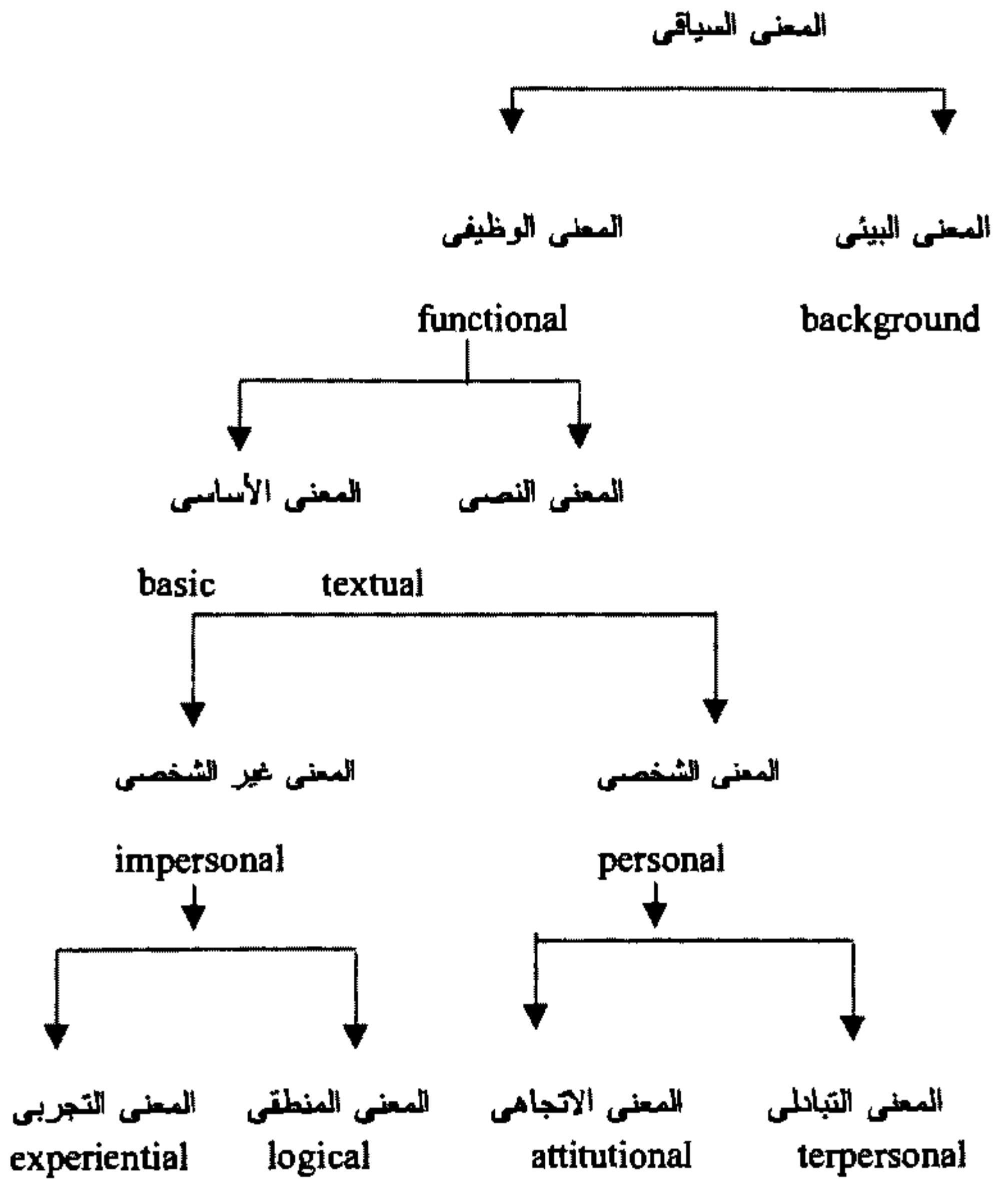
الأولى : التماسك cohesion: أى جعل اللغة المنطوقة أو المكتوبة تمثل نصًا متماسكا متوحدا ، بدل أن يكون مجموعة من الجمل المتراصة، وذلك بوسائل مختلفة كالربط ، والإضمار والإشارة، وغيرها. وقد تكسر قواعد التماسك النصّى أحياناً لأسباب أسلوبية أو بلاغية.

الثانية : الإبراز promenance : أى إبراز أجزاء معينـــة مـــن النص عن طريق اختيار الموضوع الموســـوم marked themeأو باختيار الموقع الموسوم marked point علـــى غير الموسوم ، فاختيار الموضوع الموسوم نحو : القانون أحترم، فقد قدم القانون إبرازاً لـــه ، وجعـــلاً لـــه منـــاط الاهتمام. واختيار الموقع الموسوم للنبر نحو What shall / I / ask for ? فقد أبرز الضمير I بأن لفت الانتباه إليه بجعله يحمل النبر . على أنه ليس من اللازم أن يجتمـــع التماسك والإبراز معاً ، فقد يرد أحدهما دون الآخر.

وقد أضافت برى نمطا آخـــر أطلقـــت عليـــه المعنـــى البيئـــى Background meaning وهو الذى يشير إلى الخلفية الثقافية للمتكلـــم أو الكاتب ، ويحدد بيئتة الاجتماعية ، ثم قدمت مخططا للأنماط المختلفة للمعنى السياقى مبينة كيف تكون علاقة كل منهما بالآخر ، وذلك علـــى النحو الآتى: (١)

(1)Berrey, M. (1977) Vol. 2 P.12[illegible]

أنماط المعنى السياقى



خامساً : مفهوم التحقيق :

التحقيق واحد من الأسس المنهجية التى يقوم عليها علم اللغة النظامى. وقد استطاعت مارجريت برى بناءً على فهمها لما جاء به هاليداي أن تجلو هذا المفهوم فبينت أن التحقيق يتمثل فى العلاقة بين التصور المجرد والشكل المادى، فكل تصور مجرد يحققه عنصر لغوى مسموع أو مكتوب، وهو نوعان : معجمى يحقق التصورات الذهنية بألفاظ تتفق عليها الجماعة اللغوية كاتفاقهم مثلاً على أن مكان الجلوس الذى ظهر وأرجل بنسب معينه يحققه لفظ كرسى ، وهذا اللفظ يتحقق إما بسلسلة من الأصوات فيكون تحققا مسموعاً، وإما بسلسلة من الحروف فيكون تحققا مكتوبا. والثانى نحوى يحقق التصورات النحوية التى تحكم الاستعمال الصحيح ، فإذا كان لبعض الأشياء خاصية الإفراد مثلاً فسوف يميز فى اللغة على نحو ما بأنه مفرد ، وإذا كان له خاصية عدم الإفراد فسوف يميز فى اللغة على نحو ما بأنه مثنى أو جمع. [١]

التحقيق إذن يكون بمادة substance صوتية أو كتابية، وعلى ذلك فالمظهر الكتابى الذى تتحقق به اللغة قسيم للمظهر المنطوق، وليس تعبيراً عنه لأن ثمة أنواعاً من النصوص تكون الكتابة فيها مقصودة لذاتها من دون التفات إلى أن ينطق بها أو لا ينطق ، ولكل من المنطوق والمكتوب خصائص يتميز بها عن قسيمه.

---

(1) Berry, M. (1977) Vol. 2 p . 18 f

ولا بدّ للمتكلم إذا أراد الاتصال بغيره أن يظهر المعانى الكامنة التي يريد أن يبلغها السامع أو القارئ بأن يشفرها فى أشكال مسموعة أو مقروءة أى أن يحول المعانى المجردة إلى رموز لغوية منطوقة أو مكتوبة ، وعلى السامع أو القارئ أن يحلّ هذا التشفير بإعادة الشكل إلى التصور ، فإذا نجح فى ذلك نجح الاتصال، وإذا فشل الاتصال. [١]

إن كل كلام يتطلب سلسلة من الاختيارات ، وكل اختيار يمثل حركة على مدى التحقيق ، وكل حركة تقرب الكلام خطوة من المظهر المسموع أو المكتوب للرسالة ، وبتتبع مدى " التحقيق " فى اتجاه " التحقيق " يستطيع السامع أو القارئ أن يحلّ شفرة الرسالة، ويكشف عن المعانى التي شفرها المتكلم أو الكاتب[٢] ومهمة النحو الأساسية هى أن يحدد على نحو مضبوط كيف يحققَ التصور عنصر منطوق أو مكتوب؟ وأين؟[٣] ومن الممكن القول إن نحو اللغة يتألف من المعنى المجرد والشكل المادى المحقق ، فالمعنى هو الذى يحدد الشكل ، والشكل هو الذى يحول المعنى إلى رموز لغوية[٤] على أن الحركة عبر مدى التحقيق تتجه عادة من المعنى إلى الشكل عند المرسل، وتتجه من الشكل إلى المعنى عند المتلقى.

---

(1) Ibid, P . 35

(2) Ibid, P.21 f.

(3)Ibid , P 28.

(4)Ibid, P 211.

وللتحقيق صلة وثقى بالاختيار choice فكل كلام محقق يختار ممرا path أو ممرات عبر مدى التحقيق ، أى أنه يختار سلسلة أفقية من بين سلسلتين أو أكثر من السلاسل المتاحة ، وهذه الممرات التى نسلكها حين نختار تقف بإزائها ممرات أخرى كان من الممكن أن تختار لكنها لم تختر.[1]

وحين نصف نحو لغة من اللغات فإن أهم ما يجب الاهتمام به هو استنباط الضوابط التى تتحول بها المعانى الكامنة potential إلى عناصر لغوية محققة أى إلى رموز منطوقة أو مكتوبة ، وأن نبين العلاقة بين هذه المعانى والأشكال التى تحققها، ثم العلاقة بين الشكل المحقق والشكل المحتمل ، أى بين ما ظهر فعلاً وما كان من الممكن أن يظهر ، لكنه لم يظهر.[2]

ويقرر النظاميون أن الاختلاف بين اللغات يتمثل فى ثلاث نواح:[3]

أ – فى معانيها الكامنة (والاختلاف فيها أقل من الاختلاف فى غيرها).

ب – فى التردد النسبى relative frequency الذى تختار به المعانى.

جـ – فى الطرق التى تتحقق بها المعانى فى أشكال.

---

(1)Ibid , P 45.

(2)Berry , M (1977) Vol . 2 P . 48 f.

(3)Ibid , P 49.

ولا تقتصر عندهم علاقة التحقيق على تحقيق المعانى فى أشكال، بل تشمل أيضاً تحقيق الأنظمة فى تراكيب structures . [1]وقد يكون ظهور عنصر من عناصر التركيب أو غيابه هو الذى يحقق عنصراً من عناصر النظام فاختيار العنصر خبرى indicative فى الإنجليزية مثلاً دون عنصر أمرى imperative يحققه ظهور المسند إليه subject فى تركيب العبارة كما فى نحو well-trained dogs keep to heel ، واختيار العنصر " أمرى " يحققه غياب المسند إليه subject من تركيب العبارة مثل : ! keep to heel وبعض عناصر النظام لا يتحقق بظهور عنصر من عناصر التركيب أو غيابه ، بل بموقعه بين عناصر التركيب الأخرى ، وهلم جرا. من ثم فإن المصطلح يتحقق بـ is realised by من الممكن أن يعبر عنه بقولنا مُظهر بـ is manifested by.[2]

وقد ذكرت مارجريت برى ست طرائق تحقق بها التراكيب الإنجليزية عناصر من أنظمة هى : الإدراج Insersion ، والتسلسل concatination والتخصيص particularisation ، والتضمن inclusion والدمج conflation ، والتقطع discontinuity.[3]

تلك كانت الأسس المنهجية العامة التى يقوم عليها علم اللغة النظامى ، وتميزه من النظريات اللغوية الأخرى ٠ وهناك أسس منهجية

---

(1)Ibid , P . 22.

(2)Ibib , P . 22 f

(3)Ibid , P 28 ff

لا تقل أهمية عما قدمنا يتميز بها عن غيره فى درجة عنايته بها واهتمامه لها ، فهو أعنى بها واشدّ اهتماما من نظريات أخرى، وبخاصة النظرية التحويلة التوليدية وأهمها: [١]

١ – علم اللغة النظامى يرى اللغة شكلاً من أشكال الفعل form of doing أكثر من كونا شكلاً من أشكال المعرفة form of knowing فالتمييز بين السليقة competence والأداء performance عند التحويليين تمييز بين ما يعرف وما يفعل أما النظاميون فيميزون بين السلوك اللغوى الكامن potential والسلوك الفعلى ، وهو تمييز بين ما يمكن فعله وما يفعل . ونظر التحويليين إلى النظام اللغوى langue بوصفه معرفة يعدّ جزءا من اهتمامهم بالجوانب النفسية فى الدرس اللغوى ، أما نظر النظاميين إلى النظام اللغوى بوصفه إمكانات للفعل ، ومحاولتهم الوصول إلى السلوك اللغوى الكامن موصولاً بالسياق الثقافى والاجتماعى فيعد جزءا من اهتمامهم بالجوانب الاجتماعية فى الدرس اللغوى . والعلاقة بين الفعل وإمكان الفعل أيسر من العلاقة بين الفعل والمعرفة. [٢]

٢ – يختلف النظاميون عن التحويليين فى تناولهم للنحوية grammaticalness (ينبغى ألا يلتبس هذا المفهوم بالمفهوم

---

(1) Ibib , P . 50 f.

(2)Berry, M . (1975) vol. 1 P . 24 ff.

التقليدى للصحة correctness) فالتحويليون يقيمون هذا المفهوم على أساس قبول acceptability ابن اللغة، لأن النظر إلى النحوية بوصفها قبولاً يتوافق مع النظر إلى اللغة بوصفها معرفة • أما النظاميون فيقيمون هذا المفهوم على أساس يتفق مع نظرتهم إلى اللغة بوصفها شكلاً من أشكال الفعل وهو اعتيادية الجملة usualness of sentence، ومن ثم لا يحب النظاميون أن يناقشوا النحوية بمعزل عن السياق الذى تستخدم الجملة فيه. فقد تكون مقبولة أو غير معتادة unusual أو غير مستحبة unlikely فى أنماط محددة من السياق ، لكنها قد تكون مقبولة أو معتادة أو مستحبة فى سياق آخر. ولما كان التحويليون ينظرون إلى الكلام على أساس أنه إما نحوىّ وإما غير نحوى فقد اضطروا إلى إخراج كثير من الجمل التى يبدعها الشعراء والأدباء من الجمل النحوية واعتبارها غير نحوية. أما النظاميون فقادرون على وضع هذه الجمل تحت عنوان: جمل غير معتادة، وأحيانا غير معتادة على نحو مخفف أو غير معتادة جدا. ومن ثم كان التحويليون يدركون جيداً صعوبة الوصول إلى الطريقة المثلى لدراسة الأعمال الأدبية فى إطار النحو التحويلى التوليدى. أما النظاميون فقادرون على دراسة الأعمال الأدبية التى تعدّ بحق استعمالاً إبداعيا للغة ليس من الممكن إغفاله، داخل الإطار الأساسى لنحوهم ، وهم بذلك لم يهملوا الجوانب الجمالية التى أهملها اللغويين الأمريكيون بصفة عامة.

٣ - ورث هاليداي اهتمام فيرث بالتطبيقات العمليـــة للنظريـــــة اللغوية، فكان من اهتماماته الأساسية إيجاد الوســــائل التـــى يستطيع بها الباحثون أن يسهموا فى مجالات تطبيقية متنوعـة كعلم الأسلوب، وتعليم اللغة، والذكاء الاصطناعى وغير ذلـك فضلاً عن إسهامه المتميز فى دراسة النصّ موصولاً بالسياق الاجتماعى والثقافى وهو نمط من الدرس تجاهلته المـــدارس الأخرى.

الباب الثاني

النشأة والتطور

الفصل الأول

المرحلة الأولى : نحو المقياس والفصيلة

تبدأ المرحلة الأولى فى حياة هذه النظرية بالبحث الذى نـــال بـــه هاليداي درجة الدكتوراه سنة ١٩٥٥ م ، ونشره سنة ١٩٥٦م ، وكــــان موضوعه " الفصائل النحويـــة فى الصينية الحديثـــة Grammatical Categories in Modern Chinese، وقد استطاع فيه أن يضع إطـــاراً نظريا متماسكا يمكن أن تعالج من خلاله العلاقات بين الوحدات اللغويـة معالجة منهجية.[1]

ثم اتضحت معالم النظرية فى هذه المرحلة بالبحث الذى اكتمــــل قبل وفاة أستاذه فيرث ، ونشرة عام ١٩٦١ م ، وعنوانه فصائل نظريــة النحو Categories of the Theory of Grammar بسط فيه الخطــوط العريضة لنظرية شاملة عن ماهية اللغة وكيفية عملها ، أخذ كثيراً مـــن أصولها عن فيرث. [2] ثم أتبع هذا البحث ببحث أكثر تفصيلا نشره سنة ١٩٦٤ مشتركاً مع آخَرَيْن هما : مكينتـــوش Mcintosh وســترفنس Strevens عنوانه : العلوم اللغوية وتعليـــم اللغـــة The Linguistic Sciences and Language Teaching. وقد سميت النظريـــة فى هذه المرحلـــة : نحو المقيـــاس والفصيلـــة Grammar of Scale and Category ، كمـــا سميت الفيرثيـــة الجديـــدة New Firthian . [3]

---

(1)Butler , Ch.S.(1985) P. 14.

(2)Malmkjær , K . (1991) P. 384

- Robins,R.H.(1980):General Linguistics. An Introductory Survey. Longman London-Newyork P.282.

(3)Ibid , P. 282

- Mindt , D . (1975) S.140

وقد ذكرنا أن هاليداي كان من أنبه تلامـــذة فــيرث، وأشـــدهم استيعاباً لآرائه وأفكاره ، وأشرنا إلى أن أعمال فيرث على الرغم ممـــا فيها من نظرات نافذة كانت تفتقر إلى إطار نظرى متماسك يجمع شتاتها ويؤلف بينها ، ويوضح الأسس المنهجية التى تقوم عليـــها . فعـــزم هاليداي على أن يستثمر جهود فيرث فى علـــم اللغة، وأن يبنى عليهـــا ليقدم إلى علم اللغة الفيرثى ما لم يقدمه فيرث نفسه.[1] واستطاع أن يقدم وصفا واضحا متماسكا لنظرية فى اللغة تفيد مـــن تصـــورات فـــيرث ومفاهيمه لكنها تتجاوز تلك التصورات والمفاهيم بقدرة بارعـــة علـــى التنظير.[2]

لقد أقام هاليداى تصوره للإطار النظرى لدراســـة اللغـــة فـــى صورتها المتحققة فى نص مسموع أو مقروء علـــى ثلاثـــة مســـتويات أساسية ومستويين بينيين أو رابطين يربطان بين هذه المستويات الثلاثة، وأربع فصائل ، وثلاثة مقاييس تربط الفصائل بعضها ببعض. وســـوف نفصل الآن القول فيهـــا:

أولاً : المستويات :

المادة Substance :

والمقصود بها المادة الغفل raw material التى تتكون منها اللغة، وهى نوعان : مادة مسموعة phonic تتمثل فى الأصـــوات ، ومـــادة

(1) Robins , R.H (1980) P . 282

(2)Morley, G.D. (1985):An introduction to Systemic Grammar. Macmillan Publishers. Hong Kong .P.V

مكتوبة graphic وتتمثل فى الحروف أو الرموز الكتابية ، وكلتـــاهما تمثل وسيطا ماديا يتم الاتصال اللغوى من خلاله.(١)

الشكل Form :

والمقصود به النص المستخدم فى اتصال لغوى ، ويتألف مـــن جانبين هما : النحـــو grammar ، والمعجم lexis ، والفرق بينهما أن النحو نظام مغلق يختار فيه المرء بين عدد محددٍ من العنـــاصر، أمـــا المعجم فالاختيار فيه مفتوح ؛ لأن عناصره غير محصورة. (٢)ويتضـــح هذا الفرق فى المثالين الآتيين:

١ - ـــــــ ذهبت. إذا أردت أن تضع ضميرا شـــخصيا فـــى المكان الخالى قبل الفعل ، فلا بدّ أن تختار ضميراً من عدد محصور من الضمائر فى اللغة العربية يمثل نظام الضمائر فيها، وهو نظام تام مغلق ، ليس من الممكن أن نزيد فيه أو ننقص. والضمير المختار ينبغى أن يكون " هى ".

٢ - ذهبت هند إلى ـــــــ . إذا أردت أن تضع بعد حرف الجرّ عنصراً معجمياً فالاختيار أمامك مفتوح يشمل كل الأمـــاكن التى تستطيع هند الذهاب إليها، وهـــى أمـــاكن لا يمكـــن

---

(1)Halliday , M.A.K. (1961) :Cotegories of the Theory of Grammar, in :kress, G.(ed) 1976 P. 53
- Mindt , D. (1975) S . 140 .
- Robins , R.H. (1980) P. 282

(2)Halliday , M.A.K. (1961) in : Kress, G.(ed)1976 P . 55
- Mindt , D. (1975) S. 142

حصرها كالبيت، والمسجد، والكلية، والمكتبة، والسـوق، والمتجر، والمصنع... الخ.[1]

وثمة فرق آخر بين النحو والمعجم يتمثل فى أن الاختيـار فـى النحو قد يكون متزامناً بين أبواب نحوية كالإفراد والتثنيـة والجمـع ، والتذكير والتأنيث ، والتعريف والتنكير ... الـخ . علـى حيـن أن الاختيار فى المعجم لا يتعدى العناصر المعجمية المفردة.[2]

ومصطلح العنصر المعجمى lexcal item مفضـل فـى هـذا المجال على مصطلح الكلمة ؛ لأن كثيرا من العناصر المعجمية تضـمّ أكثر من كلمة مثل مفتاح باب غرفـة المكتـب ، رخصـة القيـادة ، ضريبة المال العام ، وكيل النيابة ، رئيس الجامعة ، ولأن كثيراً مـن الكلمات لا تعدّ عناصر معجمية كالضمائر ، وأسماء الإشارة ، والأسماء الموصولة ، وحروف الجرّ وأسماء الشرط ... الخ.[3] من هنا كـانت الدراسات المعجمية فى هذه المرحلة المبكرة من حياة النظريـة تـهتم بعلاقات التضام collocation. وهو أمر كان فـيرث يوليـه ــ كمـا رأينا ــ عناية خاصة.[4]

---

(1) Mindt, D. (1975) . S . 143.

(2) Ebenda, S. 143

(3) Morley , G.D. (1985) P . 3

(4) Ibid , P 3.

الموقف Situation :

والمراد به كل العناصر الاجتماعية والثقافية التي تخرج عن نطاق النظام اللغوى ، وتمثل ظروف النص المدروس وملابساته ، إنها تشمل مثلاً مكان النص ، وزمانه ، والوقائع التي مهدت له وأحاطت به، وعدد المشاركين فيه ، وطبيعة شخصياتهم ، ومنزلة كل منهم من الآخر، وموضوع الحديث ، والأحداث المصاحبة له ، وما يقوم به المشاركون من إيماءات وحركات جسمية.[1]

هذه المستويات الثلاثة هي المستويات الأساسية التي يقوم عليها علم اللغة ، وثمة مستويان رابطان interlevels بينها ، أحدهما يربط المادة بالشكل ويتكون من مظهرين تبادليين هما الصواته phonology والخطاطة graphology والآخر يربط الشكل بالموقف وهو السياق:[2]

أ ـ الصواتة والخطاطة :.

هما مستويان تبادليان يمثلان مظهرى الاستخدام اللغوى نطقاً وكتابة، فالصواته علم يهتم بالوحدات الصوتية فى لغة محددة، والقيمة التي لها فى تلك اللغة، ففى اللغة أربع وحدات صواتية (= فونولوجية) هى الفونيم phoneme والمقطع syllable ، والتفعيلة foot، والضميمة النغمية tone group فالفونيمات تتمثل فى الوحدات الصوتية المفردة ، والمقاطع تتمثل فى أنماط البروز النسبى للصوت فى سلسلة الفونيمات ،

---

(1)Ibid , P 3

(2)Morley . G . D . (1985) P 3

- Mindt , D . (1975) S . 141

ولكل مقطع ذروة أو أوج peak من البروز ، والتفعيلة تتمثل فى أنماط النبر stress pattern فى سلسلة المقاطع ، وعلى كل تفعيلة يقع نبر واحد قوى. أما الوحدة النغمية فتحمل أنماط التنغيم. (١)

والفرق الأساسى بين علم الأصوات phonetics وعلم الصواتة phonology يتمثل فى أنّ علم الأصوات يعنى بالطبيعة الجوهرية للأصوات من دون نظر إلى اللغة أو اللهجة التى تنطق فيها ، على حين أن علم الصواتة يهتم بوظيفة الأصوات فى نظام محدد للغة محددة أو لهجة. (٢)

أما الخطاطة فهى دراسة لأنظمة الكتابة وعلاقاتها بالأنظمة الصواتية. (٣)

ب ـ السياق contxt:

وهو مستوى يربط بين الصيغة والمقام أو المواقف غير اللغوية ، فهو يربط المعانى الوظيفية للعناصر اللغوية بالمعانى المقامية التى تلابس الحدث اللغوى. (٤)وقد ظهر أثر هذا المستوى واضحاً فى الدراسات المبكرة لضروب الاستعمال اللغوى registers التى يختص فيها ضرب معين من اللغة بضرب معين من الاستخدام ، فلغة الوثائق

---

(1)Morley , G . D . (1985) P . 3 f

(2)Ibid , P . 4

(3)Mindt , D . (1975) S . 141

(4)Ibid , S . 141

القانونية غير لغة الجراحة عند الأطباء ، وكلتاهما غير اللغة المستخدمة فى مأدبة عشاء ... الخ. (١)

ومن الممكن أن نورد الآن شكلا يلخص المستويات الجوهرية الثلاثة التى يقوم عليها علم اللغة ، وما يربط بينهما : (٢)

المادة	⟵⟶	الشكل	⟵⟶	المقام
المادة الصوتية	الصواته الخطاطة	النحو المعجم	السياق	المحيط الاجتماعى والثقافى
	علم اللغة			

ولكل مستوى من هذه المستويات علم يقوم على دراسته ، فدراسة المادة الصوتية الغفل يقوم عليها علم الأصوات phonetics ، ودراسة الشكل والسياق يقوم عليها علم اللغة ، وعلم الصواته phonology يصف العلاقة بين المادة الصوتية الغفل والشكل. أما العلاقة بين الشكل والمادة الكتابية فيقوم عليها علم الخطاطة، ولا يحمل كل من علم الصواته وعلم الخطاطة على علم الأصوات وحده، ولا علم اللغة وحده، وإنما ينتمى كل منهما إلى كلا المجالين. والشكل يقوم على دراسته النحو والمعجم ، أما السياق من حيث هو علاقة بين الشكل والأحوال غير اللغوية فيقوم على دراسته علم الدلالة semantics، وهو يمثل

(1)Morley , G.D. (1985) P . 4 f

(2)Ibid , P . 6

- Mindt , D . (1975) S . 141
- Robins , R. H (1980) P 283

المعبر بين الظواهر اللغوية والظواهر غير اللغوية.[١] ولا يبعد هذا التصور للإطار النظرى عن تصور منظومية هيلمسلف الذى أشرنا إليه قبلا.[٢]

ثانيا : الفصائل : categories :

يقوم النحو فى هذه المرحلة على أربع فصائل أساسية هى الوحدة unit ، والصنف class ، والتركيب structure والنظام system.[٣]

الوحدة :

الوحدة فى النحو تشبه إلى حدّ كبير الوحدة التى تقاس بها أطوال الأشياء، فكما أن الأشياء تقاس بالياردة والقدم والبوصة ، أو المتر والسنتيمتر والمليمتر مرتبة على هذا النحو فإننا نقيس القطع اللغوية segments بالجملة sentence ، والعبارة (= الجملة الأساسية) clause ، والضميمة group ، والكلمة word ، والمورفيم morpheme.[٤]

وكان هاليداي فى بحثه عن اللغة الصينية سنة ١٩٥٦ قد جعل الوحدة الخامسة بعد الجملة والعبارة ، والضميمة والكلمة ما أطلق عليه الكاركتر character (وهو رمز كتابى يعتمد على تيمة صوتية فى

---

(1)Mindt , D. (1975) S. . 141
- Robins , R. H. (1980) P . 282 f

(٢) انظر ص   من هذا البحث.

(3)Halliday , M.A.K. (1961) , in : Kress, G. (ed) 1976 P . 55

(4)Berry, M. (1975) vol . 1 P . 91

الأنظمة الكتابية غير الألفبائية، وقد استبدل به من بعد ، حين اتجه بأبحاثه إلى دراسة اللغة الإنجليزية، المورفيم.(١)

وهذه الوحدات الخمس متدرجة تدرجا هرميا،(٢) ولكل منها صلة بالآخر من حيث الحجم size ، والاشتمال inclusion ،(٣) فالجمل تشتمل على العبارة (= الجملة الأساسية) والعبارات على الضمائم ، والضمائم على الكلمات والكلمات على المورفيمات كما يظهر ذلك في الشكل الآتى الذى يمثل مقياس الرتبة rank scale (٤)

وحدات النحو		
	الجملة	sentence
	العبارة	clause
	الضميمة	group
	الكلمة	word
	المورفيم	morpheme

ولكل من الوحدتين الأولى ، وهى الجملة ، والأخيرة ، وهى المورفيم خاصية تختلف بها عن غيرها من الوحدات ، فالجملة هى الوحدة الكبرى ، وهى من ثمَّ لا تنضوى تحت وحدة أخرى ، والمورفيم هو الوحدة الصغرى ، فلا تنضوى تحته وحدات أخرى ، أى أنه إذا كانت كل وحدة من الوحدات ــ فيما عدا المورفيم مركبة مما يليها ،

(1)Malmkjær, K. (1991) Scale and Category Grammar . P . 385

(2) Halliday , M.A.K. (1961) , in : Kress, G . (ed) 1976 P.57 f

(3) Robins, R.H. (1980) P . 283

(4) Berry, M. (1977) vol. 2, P.7.
- Morley, G.D. (1985) P.8 f.

فإن المورفيم لا يكون إلا وحـــدة بسيطة ، لأن كل وحدة أخــــرى قــد تتكون من وحدات تالية لها ، أما المورفيم فلا تتلوه وحدة أخــــرى ؛ إذ هو آخرها وأقلها حجما.[1]

وقد قدم هاليداي وزميلاه مثالاً توضيحيا مـــن اللغـــة الإنجليزيـــة هـــو: I was going to say they were probably all in tents then فذكر أن الجملة تتكون من عبارتين همـــا :

1- I was going to say.

2 - They were probably all in tents then.

وكل عبارة منهما تتكون من ضميمة أو أكثر، فالعبـــارة الأولـــى تتكون مـــن :

- I وهى ضميمة اسمية مكونة من كلمة واحدة.
- was going to say وهى ضميمة فعلية تتكون من أربع كلمات
- was كلمة تتكون من مورفيم واحد ، ولا يمكن تقسيمها .
- going كلمة تتكون من مورفيمين go + ing ، وليس مـــن الممكن تقسيم أى منهما بعد ذلك.[2]

---

(1) Morley . G.D. (1985) P. 8.

(2)Halliday . M.A.K. _ McIntosh. A- Strevens, P. (1964) P.26.

فإذا كانت الجملة تتكون من مورفيم واحد مثل yes في الجـواب عن سؤال فقد رأى هاليداي وزميلاه أنهـــا ينبغي أن تحلل – مراعــــاة للاتساق النظرى – على أنها جملة واحدة، تتكون من عبارة واحـــــدة ، تتكون من ضميمة واحدة تتكون من كلمة واحـــدة تتكون من مورفيـــم واحــــد[١] وهـــو مـــا أطلـــق عليـــه مبـــدأ " الحســـاب الكلـــى total accountability". ولم يسلم هذا المبدأ من هجـــوم عليـــه مـــن غـــير النظاميين. [٢]

التركيب structure :

التركيب هو ترتيب العناصر النحوية فى مواقع محـــددة ترتيبـــاً تتابعيا، بحيث يكون بينــــها علاقـــات متبادلـــة. والـــتركيب فصيلـــة موضوعـــة لإيضاح التمـــاثل likeness بيـــن العنـــاصر، وتكـــرار repetition وقوعها، وهو تجريد يصف أنماط العلاقات التتابعية علـــى المستوى النحوى. [٣]

ولكل وحدة من الوحدات الخمس التى سبق ذكرها تركيبـــها ممـــا يليها من وحدات ، فيما عدا الوحدة الصغرى " المورفيم " فلا تركيـــب لها. [٤] ولا يقال إن المورفيم يتكون من فونيمات، لأن المورفيـــم آخـــر الهرمية النحوية أما الفونيم فهو آخر الهرمية الصوائية (الفونولوجيـــة)

---

(1) Ibid, P. 26

(2) Butler , Ch.S. (1985) P . 17

(3)Halliday , M.A.K. (1961). in : Kress, G (1976) P . 59

(4) Halliday , M.A.K. et al (1964) P . 28

التى تتكون مـــن المجموعـــة النغميـــــة tone group والمجموعـــة النغمية تتكون من تفعيلات feet والتفعيلات من مقـــاطع syllables ، والمقاطع من فونيمات phonemes.[١]

والجملة تتركب من عبارتين على الأقل إحداهما أصلية وهـــى العبارة الحرة free التى يمكن أن تستقل بذاتـــها ، والأخـــرى فرعيـــة subordinate وهى العبارة المقيدة bound المعتمـــدة علـــى غيرهـــا والعبارة الأصلية يطلق عليها فى نحو المقياس والفصيلة المصطلح ألفـــا ويرمز لها بالرمز α ، والعبارة الفرعية يطلق عليها مصطلـــــح بيتـــا ويرمز لها بالرمز β .[٢]وسوف نكتفى هنا بأن نرمز للعبارة الأصليـــة بالرمز "ص" وللعبارة الفرعية بالرمز " ف " موردين أمثلة عربية كلما أمكن ذلك تيسيراً على القارئ العربى ، ومحاولة للتطبيق على العربية فالجملة التى تحتوى على عبارتين إحداهما أصلية والأخرى فرعية مثل قوله تعالى:

ف **ص**

﴿وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب﴾ (البقرة ١٨٦)

---

(1)Ibid, P. 60

- Robins , R. H. (1980) P . 283

(2)Morley , G.D. (1985) P . 9 f

ويجوز أن تشتمل الجملة الواحدة على جملتين أصليتين أو أكثر ، نحو قوله تعالى:

ص ص ف

وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر (البقرة ١٨٧).

كما يجوز أن تشتمل على جملتين فرعيتين أو أكثر نحو قوله تعالى :

ص ف ف

وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله (البقرة ١٩٣)

أما تركيب العبارة فيشتمل على أربعة عناصر أساسية تتماثل فيها العبارات جميعها وهي: [١]

١ - المسند إليه	subject	(= م)
٢ - المسند	predicator	(= س)
٣ - المتمم	complement	(= ت)
٤ - المستلحق	adjunct	(= ل)

---

(1)Halliday , M. A. K . (1961) , in : Kress, G. (ed) 1976 P . 61
- Berry , M . (1977) vol . 2 P .4.

فالمسند إليه لا يكون إلا ضميمة اسمية ، والمسند فى الإنجليزية لا يكون إلا ضميمة فعلية ، وهو فى العربية قد يكون ضميمة اسمية أو فعلية ، والمتمم يكون ضميمة اسمية أو وصفية ، والمستلحق يكون ضميمة ظرفية أو جرية أو غيرهماوالفرق بين المتمم والمستلحق أن المتم لا يستغنى لا يستغنى عنه الكلام فهو متمم لعنصرى الإسناد فإذا لم يذكر فى الكلام عد محذوفاً ، أما المستلحق فمن الممكن الاستغناء عنه من دون أن يؤدى إلى خلل فى التركيب النحوى أو تغيير فى أصل المعنى[1]نحو :

م	س	ت	ل
زيد	أكرم	عمراً	كل الإكرام

وقد ذكر مورلى عنصراً خامساً هو " z " وهو يشير إلى ضميمة اسمية غير معروف إن كانت مسنداً إليه أم متمما نحو : قصة مدينتين، سوناتا ضوء القمر ، ونحو ماما فى قولك : اندفع الأطفال صائحين : ماما. ويظهر العنصر " z " فى الجملة التامة حين تقوم الضميمة الاسمية بوظيفتى المسند إليه والمتمم فى وقت واحد مثل : ساعد الرجل زوجته على أن تعبر الطريق ، فالضميمة الاسمية " زوجته " فى هذه الجملة تقوم بوظيفتين : متمم للفعل ساعد ، ومسند إليه للفعل تعبر ، وكذلك نحو : أقنع الرجل أخته بأن تزوره ٠ وظاهر أن

(1)Morley , G.D. (1985) p.10 f

هذا العنصر يستخدم عند غياب المسند إليه أو المسند ، وعند اندماج وظيفتين فى عنصر لغوى واحد.[١]

ويظهر التماثل فى تركيب العبارات إذا أمكن تقسيم كل منها أقساماً متماثلة يمثل كل قسم منها عنصراً من عناصر التركيب ، مثل:[٢]

م	س	ت	ل
زيد	فتح	الباب	فجأة
أغلب الطلاب	لم يفهموا	الدرس	أمس
خالتى زينب	قرأت	هذه القصة	عدة مرات
أنماط جديدة من السلوك	أصبحت	شائعة جدا	هذه الأيام

على أنه ليس من اللازم أن يشتمل تركيب كل عبارة على هذه العناصر الأربعة ، فقد لا يستعمل بعض هذه العناصر ، وقد يتكرر بعضها ولا يتكرر بعض آخر ، فقد يتكرر المتمم ولا يستعمل المستلحق ، وقد يتكرر المستلحق ويحذف المتمم ، وقد يذكر المسند إليه ويحذف المسند أو العكس،[٣] لكن التراكيب المتماثلة لا بدّ أن تكون متماثلة فيما يحذف أو يذكر أو يتكرر من العناصر.

---

(1) Ibid P . 10 f

(٢) انظر الأمثلة التى أوردتها برى فى :

- Berry, M (1975) Vol. 1 p. 63.

(3)Halliday , M.A.K. (1961) , in : Kress , G. (ed) 1976 P 61 ff.

وأما تركيب الضميمة ، إذا كانت اسمية ، فينقسم إلى ثلاثة أقسام، كل قسم منها يمثل موقعاً ، وكل موقع مشغول بعنصر ، فالعناصر إذن ثلاثة هي : محدد سابق modifier (= د)، وكلمة أساسية headword (= ك) ومحدد لاحق qualifier (= ح) ويتضح ذلك من المثال الآتى.[١]

د	ك	ح
ال	رجل	الذى فقد عقله

على أنه ليس من اللازم أن يذكر كل من المحددين في كل ضميمة، بل قد يكتفى بالكلمة الأساسية فتعدّ وحدها ضميمة اسمية مثل زينب مثلاً أو أحمد فى نحو : زينب كريمة ، أحمد كريم ٠

د	ك	ح
ال	رجل	—

وكالبر فى نحو : رجل البرّ قادم

د	ك	ح
—	رجل	البرّ

---

(١) انظر أمثلة من اللغة الإنجليزية فى :

- Morley , G.D. (1985) p.12.
- Berry, M. (1977) vol. 2 P. 5.

وقـد يتعدد المحـدد السابق فى ضميمة اسمية واحدة كمـا فى :
هذا الرجل / كريم[1]

د	د	ك	ح
هذا	ال	رجل	ــ

وقد يتعدد المحدد اللاحق فى ضميمة اسمية واحدة كما فى نحـو :
تحيةً من عند الله مباركة طيبة. [2]

د	ك	ح	ح	ح
ــ	تحيةً	من عند الله	مباركة	طيبة

وإذا كانت الضميمة فعلية كان من الممكن أن تشتمل أيضا علـى ثلاثة مواقع كل منها مشغول بعنصر ، والعناصر الثلاثة هـى : فعـل مساعد (= ف م) ، وفعل أصلى (= ف ص) ، ومتمم (ت) [3]كمـا فى قوله تعالى: [4]

﴿ وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة ﴾ (مريم ٥٥)

---

(١) انظر : محمود أحمد نحلة : التعريف والتنكير بين الدلالة والشكل (الإسكندرية) ١٩٩٧ ص ٢٣ فما بعدها.

(٢) انظر مثالاً من اللغة الإنجليزية فى

- Mindt, D (1975) S 144

(3) Malmkjær, K. (1991) : Scale and Category Grammar . P . 386

– Berry, M. (1975) vol. 1 p. 107

(٤) انظر مثالاً من اللغة الإنجليزيـــة فى:

- Mindt, D. (1975) S. 144

ف م   ف ص   ت   ت

وكان   يأمر   أهله   بالصلاة

ونحو قوله تعالى :

﴿إذا أخرج يده لم يكديراها﴾ (النور ٤٠)

ف م   ف ص   ت

لم يكد   يرى   ها

وأما تركيب الكلمة فيتكون من أربعة أنواع من المورفيمات هى السابقة prefix والأساس base واللاحقة suffix والنهاية (الإعرابية) كما فى نحو : الأصليان

ال : سابقة   أصل : أساس

يّ : لاحقة   ان : نهاية

وليس من اللازم أن تشتمل الكلمة على هذه المورفيمات مجتمعة ، كما أن من الممكن أن تتعدد السوابق أو اللواحق فى كلمة واحدة.

على أن هاليداي قد عنى بالتفريق بين الترتيب order والتتابع sequence فذكر أنهما غير متطابقين ، فالترتيب لا يكون إلا على أساس المواقع، أما التتابع فلا يشترط فيه ذلك ، فقد يكون تتابعاً أصيلا

أو غير أصيل كأن يقدم عنصر من تأخير مثلاً .[١] وللترتيب دور مـهم فى تركيب العبارة الإنجليزية ، إذ إنه معيار حاسم للمسند إليه الذى يرد دائماً سابقا على المسند[٢] وهاليداي يشير إلـى علاقـة التتابع الأصيـل - وهو الذى يرادف الترتيب ـ بوضع سهـم فـوق العنـاصر المتتابعـة أصالـة نحـو SPCA (= م س ت ل).[٣] وعلى الرغـم مما تعرض له هذا التفريق من نقد فقد ظل هاليداي متمسـكاً بـه فـى أبحاثه التالية.[٤]

الصنف :calss

لكل تركيب عناصره التى يشغل كل منها موقعاً فيه ، وما ينـدرج تحت كل عنصر من مفردات تمثل هذا العنصر يسمى صنفا[٥]فـالصنف عدد من مفردات العناصر اللغوية تتماثل توزيعيا فى تحقيقها لعنصر من عناصر التركيب من دون نظر إلى تماثلها الشكلى أو تركيبها الداخلـى internal structure فليس صحيحاً أن أى صنف من مفـردات اللغـة يمكن أن يقع فى أى موقع من مواقع التركيب،[٦] فالمفردات من نحـو: كتب، واستقرَّ ، وتوالى ، وكان يفعل ، وأخذ يفعل، وكاد يفعل وأشباهها

---

(1)Butler, Ch.S. (1985) P . 18

(2)Ibid , P . 18

(3)Halliday M.A.K. (1961) , in: Kress, G. (ed) 1976 P . 62

(4)Butler, Ch. S. (1985) P. 18

(5)Halliday M.A.K. (1961) , in: Kress, G. (ed) 1976 P . 64

(6)Ibid, P. 64

- Butler, Ch. S. (1985) P . 24

تتجمع فى صنف يقوم بدور المسند فى العبارة، ولا يجوز مثلاً أن تقــع موقع المسند إليه أو تقوم بدوره. (١)

والفرق بين الصنف class والنمط type عند هاليداي أنّ النمط يحدد على أساس التماثل الشكلى، أما الصنف فيحدد على أساس الـــدور الذى يقوم به فى التركيب. (٢) والفرق بين الصنف وعنصر التركيب أن عنصر التركيب يحدد موقعيا على أساس العلاقة الأفقية بينه وبين غيره من عناصر التركيب ، أما الصنف فيحدد جدوليا على أســـاس العلاقـــة الرأسية بين المفردات التى تشغل موقعا واحداً ، وتمثل عنصراً واحـــداً من عناصر التركيب. (٣)

على أنه قد يقع تداخل بين أصناف المفردات التى تمثل عنــــاصر فى التركيب ، ففى نحو **زيد أكرم عمرا ، وعمرو أكرم زيداً** نـــدرك أن "أكرم " فى كلتا الجملتين يندرج فى صنف هو " الفعل " أو " الضميمـــة الفعلية " وأنه يقوم هنا بدور المسند.أما زيـــد وعمرو فى كلتا الجملتيـــن فقد استخدم كل منهما مسندا إليه ومتمما على السواء ، وفى هذه الحالـــة يظهر ما سمى من بعد الصنف المتقاطع cross – class أى الذى يصلح أن يمثل عنصرين من عناصر تركيب العبارة أو أكثر ، وفى هذه الحالة ينبغى أن يعامل هذا الصنف المتقاطع على أنـــه صنف واحـــد هـــو " الاســــم " أو الضميمة الاسمية ". فالضميمة الاسمية تشغل عادة موقـع

---

(1) Butler, Ch. S. (1985) P . 24.

(2) Ibid , p . 24

- Berry, M. (1975) vol. 1 p. 76.

(3)Halliday , M. A. K . (1961) in , Kress. G. (ed) 1976 P. 64

المسند إليه أو المتمم فى التركيب أو هما معاً ، (وقـد تشـغل أيضـاً موقع المستلحق فى اللغة العربية حين تقع حالاً أو مفعـولاً مطلقـاً أو مفعولاً لأجله ... الخ). والضميمة الفعليـة تقـوم بدور المسند.[1]

وقد أضيفت إلى هاتين الضميمتيـن ضميمتـان أخريـان همـا الضميمـة الظرفيـة adverbial group والضميمـة الجريـة preposational group ، وقد تكون كل منهما متمما أو مستلحقا.[2]

ومن الحق أن نقول إنه ليس من اللازم أن يخصص صنف بعينـه ليمثل عنصراً بعينه من عناصر الـتركيب ، أو أن صنفـا بعينـه لا يمكن أن يمثل عنصرا بعينه ، فذلك موكول إلى طبيعـة الاستخدام. وقد قـدم بعـض الباحـثين مثـالاً متطـرفاً لذلك من اللغـة الإنجليزيـة هو: He sang his didn't, he danced his did فكـلا العنصريـن did و didn't ينتمى إلى صنف الفعل المسـاعد لكنـه اسـتخدم هنـا استخدام الأسماء،[3] ومثل ذلك أن يقـال فـى العربيـة المعـاصرة " أنجـزت هذا الأمـر بالكاد"، إذ استخدم فيه الفعل كاد ، وهو من صنف الفعل المساعد فى العربية استعمال الأسماء ، وهو استخدام غـير وارد فى عربية التراث.

---

(1) Butler, Ch. S. (1985) P 25
-Berry , M . (1975) vol . 1 p . 75

(2) Morley , G. D. (1985) P . 16

(3) Berry , M . (1975) vol . 1 p . 76

وقد أشار هاليداي إلى أن الأصناف الأساسية يمكن أن تقسم إلـــى أصناف ثانوية secondary classes على أساس ما يشغل منها موقعــاً بعينه في التركيب، وما يكون منها حراً غير مقيد بموقع، وهذا الاتجــاه الموقعي يعدّ عند هاليداي مقياساً لتأسيس الأصناف الثانويــة للضميمــة الظرفية.(١)

ولم يلبث هاليداي أن فرق بين الأصنـــاف الثانويـــة والأصنـــاف الفرعية ، فإذا كانت الأصناف الثانوية تحدد على أساس الموقـــع فـــإن الأصناف الفرعية تحدد على أساس مصاحبتـــها للعنـــاصر الإشـــارية deictics فمن الممكن مثلاً تقسيم الضميمـــة الاسـمية إلـــى صنفيـــن فرعيين: معدودة وغير معدودة ، فالأسماء المعـــدودة يمكـــن أن تقـــع مصاحبة ل each, a إذا كانت مفردة ، ول these إذا كانت جمعا ، أما الأسماء غير المعدودة فلا تكون مصحوبة بمثـــل هـــذه ، بـــل تكـــون مصحوبة بنحو much .(٢)

النظام : system

النحو عند هاليداى هو ذلك المستوى من الشكل اللغوى الذى يقـوم على أنظمة مغلقة ، وهو يرى أن وصف الأنظمة بالمغلقة مـــا هـــو إلا وسيلة توكيد ، لأن النظام لا يكون نظاماً إلا إذا كان مغلقاً أى محصوراً بالعدّ، فهو يتكون دائماً من عدد محصور من العناصر لا تزيـــــــد ولا

---

(1) Halliday , M. A. K . (1961) in , Kress. G. (ed) 1976 P. 64 f.
- Butler , Ch .S. (1985) P . 25f .
(2) Butler , Ch .S. (1985) P . 26.

تنقص، وكل عنصر من عناصر النظام الواحد لا بدَّ أن يكون مختلفاً عن سائر العناصر، فلا يجوز أن يطابق عنصر فى نظام عنصراً آخر فى النظام نفسه. (١)

وتستخدم عناصر النظام استخداماً تبادليا ، فاختيار واحد من العناصر يمنع أى عنصر آخر من النظام نفسه، فإذا كان شئ ما مفرداً مثلاً فلا يمكن أن يكون فى الوقت نفسه جمعاً، واختيار المفرد فى نظام للعدد يتكون من المفرد والجمع يستلزم استبعاد الجمع. كذلك لا يجوز استخدام أكثر من عنصر واحد من عناصر نظام بعينه فى موقع واحد، فلا يجوز مثلاً أن تقول:

"انا انت ناجح. (٢)

والمعنى الوظيفى لكل عنصر فى النظام يعتمد على معنى العناصر الأخرى فى النظام نفسه ، فنظام العدد فى الإنجليزية المعاصرة يقوم على عنصرين مفرد وجمع ، وقد كان فى الإنجليزية القديمة يقوم على ثلاثة : مفرد ، ومثنى ، وجمع ، ولذلك فإن معنى عنصر الجمع فى نظام للعدد ثنائى يختلف عنه فى نظام للعدد ثلاثى ولإيضاح ذلك نقول : من الحقائق المعروفة أنه إذا خصص مبلغ محدد من المال لعدد محدد من الناس فلن يستطيع أى واحد منهم أن يزيد فى نصيبه إلا على حساب الآخرين ، فإذا أضيف شخص آخر إلى

---

(1) Halliday , M. A. K . (1961) in , Kress. G. (ed) 1976 P. 54.

(2) Berry, M (1975) vol. 1 P . 144.

عـــدد الناس تناقص نصيب كل منهم وإذا استبعد واحـــــــد منـــهم زاد نصيب الآخـــرين ، كذلك الحـــال فـــى كل نظام، فلكل نظام مجـــــال محدد من المعنى يشترك فيه عدد محدد من العناصر، فإذا أخذ عنصـــر منها شريحة من المعنى أكبر أو أصغر مما أخذه غيره، فـــإن شـــرائح المعنى التى تأخذها العناصر الأخرى تتأثر بذلك زيادة ونقصا. وبنـــــاء على ذلك فإن عنصر الجمع فى نظام ثلاثى يفقد بعض نصيبه فى مجال المعنى، إذ يشاركه فيه المثنى، وإذ أسقط عنصر المثنى فى نظام ثلاثـــى زاد مجال معنى الجمع. [1]

وبناء على ما قدمناه فإن للنظام ثـــلاث خصـــائص لا بـــدَّ منـــها مجتمعة هى :

١ – أنه مغلق على عدد محصور من العناصر.

٢ – أن اختيار واحد من عناصره يمنع اختيار آخر.

٣ – أن المعنى الوظيفى لكل عنصر من عناصره يعتمـــد علـــى معنى العناصر الأخرى فى النظام نفسه.

ويرى هاليداي فى هذه المرحلة أن الأصناف classes المختلفـــة من العناصر يتفرع كل صنف منها إلى أنـــواع فرعية تمثل أنظمـــة[2] فصنف المسند إليه مثلاً يتكون من أنواع كأن يكون ضميراً أو معرفـــاً

---

(1) Ibid , p. 145 f.
– Morley , G . D . (1985) p . 17
(2)Halliday , M. A. K . (1961) in , Kress. G. (ed) 1976 P. 67

بأل أو مضافاً ، أو اسماً موصولاً أو مفرداً علماً ...الخ ومن الممكن حصر كل الأنواع التى تقع مسنداً إليه ، فإذا تم الحصر نشأ النظام.

ثالثا : المقاييس

وهى ثلاثة مقاييس تربط الفصائل بعضها ببعض : الرتبة ، والتحقيق، ومدى التفصيل.

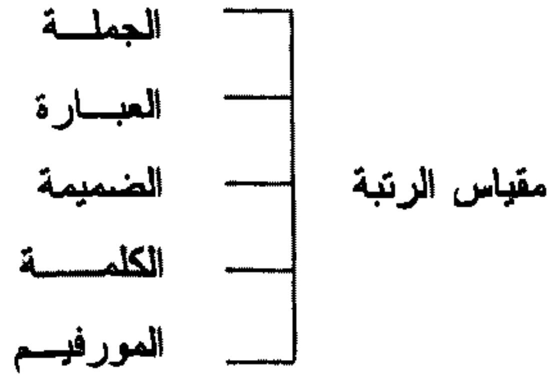
الرتبة rank :

الرتبة مقياس ترتب عليه الوحدات النحوية ترتيباً هرميا.[1] وقد سلف القول إن هاليداي حدد خمس وحدات للنحو هى الجملة sentence، والعبارة clause، والضميمة group، والكلمة word، والمورفيم morpheme .[2] ومقياس الرتبة rank scale هو قائمة بهذه الوحدات مرتبة على أساس من حجمها ووظيفتها كما يظهر فى الشكل الآتى: [3]

(1)Butler, Ch. S. (1985) P . 16.

(٢)أخذ هاليداي على بلومفيلد مارآه من أن المورفيمات تتكون من فونيمات ، لأنه فيما يرى خلط بين الرتبة والمستويات ، فالمورفيمات وحدات على مقياس الرتبة النحوية ، والفونيمات وحدات على مقياس الرتبة الفونولوجية ، (انظر باتلر ص ٢٨ من المرجع السابق) ،

(3)Berry , M. (1975) vol. 1 P . 104.



ويحكم ترتيبها على هذا النحو إذا اتجهنا من أعلـــى إلـــى اســـفل العلاقة " تتكون من consist of " فالجملة تتكون من عبارة أو أكـــثر، والعبارة تتكون من ضميمة أو أكثر ، والضميمة تتكون مـــن كلمـــة أو أكثر ، والكلمة تتكون من مورفيم أو أكثر ، فالعلاقة بين الجملة والعبارة هى نفسها التى بين العبارة والضميمة ، وهى نفسها التى بين الضميمـــة والكلمة ، وهى نفسها التى بين الكلمة والمورفيم.

وإذا اتجهنا من أسفل إلـــى أعلـــى فالعلاقـــة هـــى " تُكـــوِّن " constitute فالمورفيمات تكون الكلمات، والكلمات تكـــون الضمـــائم ، والضمائم تكون العبارات والعبارات تكون الجمل.[1]

ولما كان حديث هاليداي عن الرتبة وعن غيرها يفتقر فـــى هـــذه المرحلة إلى الأمثلة التوضيحية ، ويميل إلى التجريد الشـــديد لدرجـــة يصعب معها على غير المتخصص متابعة ما يقول ، فقد حاول بعـــض الباحثين تقديم بعض الأمثلة التوضيحية من اللغة الإنجليزية،[2] ونحـــاول هنـــا أن نقدم المثال الآتى من اللغة العربية :

---

(1) Ibid , P . 105 f.

(2) Butler , Ch. S. (1985) P . 17.

كاد الزلزال يسقط بيتنا القديم

فهذه الجملة تتكون من عبارة واحدة ، والعبارة تتكون من الضمائم الآتيـــة :

١ – كاد ... يسقط

٢ – الزلزال.

٣ – بيتنا القديم.

والضميمة الأولى تتكون من كلمتين هما : كـــاد ويســقط وهـــى ضميمة غير متصلة discontinuous ، والضميمة الثانية تتكون مـــن كلمة واحدة هى الزلزال ، والضميمة الثالثة تتكون من كلمتين هما بيتنـا القديم، وكل كلمة تتكون من مورفيمين ٠

ومن الواجب التنبيه إلى أن الوحدة الواحدة قد تتكون من وحدة أو أكثر من الوحدة التى تليها[١] ، لكنها لا تتكون بحال من جـــزء مـــن وحدة تليها ، وجزء من وحدة لا تليها، كأن تتكون العبارة مثـــلاً مـــن ضميمـــة وكلمـــة أو من ضميمـــة ومورفيم ، ولا تتكون أيضـــاً مـــن وحدة لا تليها مباشرة كأن تتكون العبارة من كلمة أو أكـــثر ، أو مـــن مورفيم أو أكثر ، كذلك لا تتكون الضميمة من مورفيم أو أكثر. [٢] فهذا المقياس يتجه من الوحدات العليا إلى السفلى فحسب. [٣]

---

(1) Berry , M (1975) vol . 1 P . 105 f.

(2) Ibid , P . 106

(3) Halliday , M. A. K . (1961) in , Kress. G. (ed) 1976 P. 70

على أنه قد يقع فى التراكيب غير البسيطة وحدات تشمل مكوناتها وحدات من رتبة ليست أدنى منها في مدى الرتبة ، بل تعادلهـــا فـــى الرتبة أو تكون أعلى منها رتبة ، وقد حلّ هاليداي هذا الإشكال بإجـــازة ما أسماه نقل الرتبة rank shift ففى المثال الذى قدمناه من قبل وهو[1] " تحية من عند الله مباركة طيبة " ضميمة اسمية تشتمل على ضميمـــة جرية هى " من عند الله " لكنها نقلت هنا من رتبة الضميمة إلى رتبـــة الكلمة المفردة ، ولهذا جاز أن تشتمل عليها الضميمة.

ومن الممكن أيضاً أن تشتمل الضميمة على عبارة أعلى منها رتبة إذا كانت العبارة فى منزلة الكلمة الواحدة ، أى نقلها الاستخدام من رتبة العبارة إلى رتبة الكلمة.[2] ففى نحو قولك : (رأيت بيوتاً أكـــل الدهـــر عليها وشرب) اشتملت الضميمة الاسمية "بيوتا أكل الدهر عليها وشرب " على عبارة " أكل الدهر عليها وشرب " وهى أعلى مـــن الضميمـــة رتبة، وقد جاز ذلك ، لأنها فى منزلة الكلمة المفردة وتقـــوم بوظيفتـــها فهى تعادل معنىً ووظيفةً قولنا قديمة أو بالية ، ولهذا فإن رتبتها نقلـــت من العبارة إلى الكلمة.

فكل وحدة إذن من الممكن أن تنقل رتبتها إلى رتبة وحدة أدنـــى منها أو ما يطلق عليه downward rank إذا كـــانت بمعناهـــا وقـــامت

---

(1) Ibid , P . 70 f .
- Berry , M.(1975) vol. 1 P. 107 f
- Butler, Ch . S. (1985) P . 16 f

(٢) انظر الأمثلة الإنجليزية التى قدمتها برى فى :
Berry, M. (1975) Vol.1 P. 106, 110

بوظيفتها ، لكن ليس من الممكن أن تنقل رتبة من الأدنى إلى الأعلى أو ما يسمى upward rank.[1]

التحقيق exponent :

التحقيق مقياس يجمع بين الفصائل categories ، ويربط كلا منها بالأخرى، وبالمادة اللغوية linguistic data ، فالفصائل تنتقل عبر هذا القياس من أقصى درجات التجريد إلى أقصى درجات التحقيق المادى الذى تظهر به فى شكلها النهائى المنطوق أو المكتوب، جامعة بين الجانبين المعجمى والنحوى.[2]

وهذا المفهوم أقرب مفاهيم علم اللغة النظامى إلى النحو التحويلى ؛ إذ تتحول من خلاله البنية الباطنة إلى بنية ظاهرة على خلاف فى مفهوم البنية الباطنة بين المدرستين ، وفى الطريقة إلى تتحول بها إلى بنية ظاهرة[3]فإذا أردنا أن نتتبع تحقيق جملة مثل " زيد يبنى بيتا "[4] عبر مقياس التحقيق وجدناه يمضى على النحو الآتى:

---

(1) Butler , Ch. S. (1985) P . 17
- Robins, R.H. (1980) P 284
(2) Halliday , M.A.K. (1961) , in : Kress (ed) 1976 P . 71
- Butler, Ch. S. (1985) P . 28
(3) Berrr , M (1975) vol, 1 P . 196
(٤) انظر تحليل الجملة الإنجليزية الذى قدمه مورلى فى :
- Morley , G.D. (1985) P . 24.

ج # ← ص

ص ↙ عبارة

عبارة ← م س ت

م ↙ ضميمة اسمية

ضميمة اسمية ← ك

ك ↙ اسم علـــــم

اسم علم ↙ زيـــد

س ↙ ضميمة فعلية

ضميمة فعليــة ← ك

ك ↙ ف ص (فعل دال على المفرد الغـــائب والزمن الحاضر)

ف ص ↙ يبنى

ت ↙ ضميمة اسمية

ضميمة اسمية ← ك

ك ↙ اسم (مفرد ، نكرة ، منصوب)

اسم ↙ بيتاً

(السهم ← = يتركب من ، والسهم ↙ = يتمثل فى)

ويمكننا الآن أن نوضح المراحل السابقة من التحقيق ، فأول ما يبدأ به هو تصور الجملة # ج # وهو يتمثل فى جملة خبرية بسيطة أصيلة (ص) وهذه الجملة تتمثل فى عبارة ، والعبارة تتركب من مسند إليه (م) ومسند (س) ومتمم (ت) ، والمسند إليه يتمثل فى ضميمة اسمية ، والضميمة الاسمية تتركب من كلمة أساسية (ك) والكلمة الأساسية تتمثل فى اسم علم والاسم العلم يتمثل فى زيد.

والمسند يتمثل فى ضميمة فعلية ، والضميمة الفعلية تتركب من كلمة أساسية (ك) والكلمة الأساسية تتمثل فى فعل أصلى (ف ص) دال على المفرد الغائب والزمن الحاضر ، وهو يتمثل فى يبنى.

والمتمم (ت) يتمثل فى ضميمة اسمية والضميمة الاسمية تتركب من كلمة أساسية و الكلمة الأساسية تتمثل فى اسم مفرد نكرة منصوب وهو يتمثل فى (بيتاً).

مدى التفصيل delicacy :

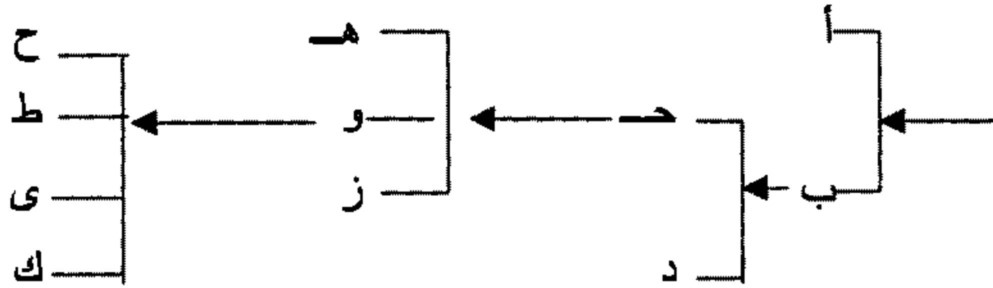
إذا كان مقياس الرتبة يبين علاقة الوحدات units بعضها ببعض، وإذا كان التحقيق يبين المراحل التى تتحول بها المعانى إلى أشكال لغوية منطوقة أو مكتوبة ، فانّ مدى التفصيل يبين علاقة الأنظمة بعضها ببعض. [1]

---

[1] Berry , M. (1975) vol. 2 P . 42

فإذا أخذنا نظاما من أنظمة اللغة وقسمناه أقساماً فرعية ، ثم تابعنا التفريع إلى أقصى مدى ممكن حيث يصبح من غير الممكن الوصول إلى تفريع آخر ، ثم رتبنا الأمثلة على أساس من درجة التفصيل التي تمثلها على مقياس يحدد درجة تفصيلها بالقياس إلى غيرها ، فهذا المقياس يسمى مدى التفصيل scale of delicacy .[١]

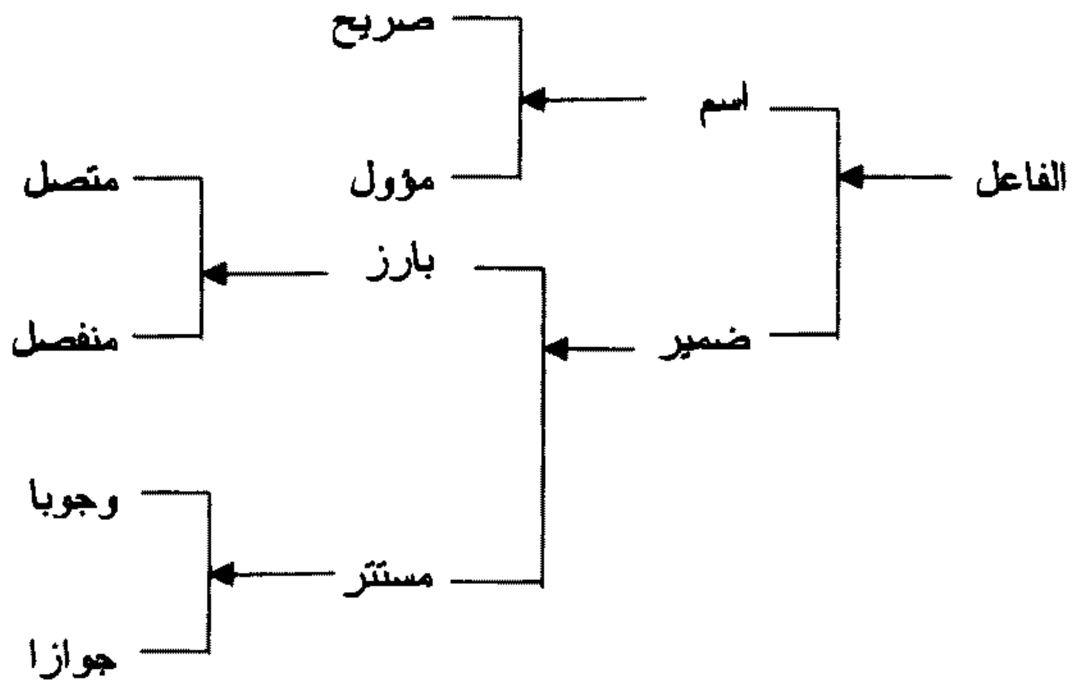
فإذا كان نظام ما يتكون من عنصرين هما أ، ب ، وكان أحدهما يتفرع إلى ج ، د ، ج يتفرع إلى هـ ، و ، ز كان النظام الفرعي الأخير أشدها تفصيلاً ، فإذا لم يمكن بعد ذلك تفريع أي من (هـ) و(و) و(ز) فقد وصلنا إلى نهاية مدى التفصيل ، على أن من الممكن أن يتزامن التفريع فقد يتفرع كل من أ ، ب إلى فرعين، فعندئذ يكونان على درجة واحدة من التفصيل،[٢] ويتضح ذلك من الشكل الآتي:



(1)Ibid vol. 1 P . 177

(2)Ibid, P. 180 f.

ويمكننا أن نقدم مثلاً توضيحيا من اللغة العربية هو نظام الفاعليـة كما قدمه نحاة العربية :



الفصل الثاني

النحو النظامى الوظيفى

شهدت المدّة من سنة ١٩٦٤م إلى نهاية العقد السابع من القــــرن العشرين تطوراً حاسماً فى النظرية اللغوية عند هاليداي،[1] ، فقـد أدرك الرجل ضرورة وضع علم لغة نظامى يتجاوز به نموذجـــه الســابق " المقياس والفصيلة ". وقد أفضى هذا إلى بزوغ نموذج أشدّ إحكاماً أطلق عليه النحو النظامى لما أصبح للنظام فى هذا النموذج من أهمية بالغــة. وقد تمثّل هذا التطور فى أمرين أساسيين:

أحدهما : التوجه الوظيفى: وقد جعل هذا بعض البــاحثين يطلــق على نموذج هاليداي فى هذه المرحلة " النحـــو النظــامى الوظيفى Systemic Functional Grammar ".[2]

الثاني : دمج الاتجاه الوظيفى فى الاتجاه الاجتماعي مع اهتمــــام متنام بالظواهر الدلالية. ولهذا رأى بعض الباحثين أن مــا جاء به هاليداي فى العقد السابع من القرن العشرين مــــن الممكن أن يطلق عليه " النحو النظامى الوظيفى ذو التوجه الدلالى semantically oriented systemic functional grammar .[3]

وقد نتج عن هذا فيما تلا ذلك من سنوات نموذج وظيفـــى غــير منبت الصلة عن نحوه النظامـــى ضمنه هاليداي كتابه الذى أصـــــدره سنة ١٩٨٥ بعنـــوأن مدخل إلى النحو الوظيفى An Introduction to

---

(1)Butler Ch.S. (1985) P . 57

(2)Morley, G.D. (1985) P . v

(3)Butler Ch.S. (1985) P . 57

Functional Grammar ، وتمــيز بـــه عـــن نموذجيـــن وظيفييـــن آخـــرين هما: "النحو الوظيفـــى" الذى طـــوره سايمـــــون دك S. C. Dike سنة (١٩٧٨ ، ١٩٨٠) " والنحـــو الوظيفـــــى التوحيـــــدى " لكاى M. kay سنة (١٩٨٤، ١٩٨٥)، وإن جمع بينها التأثر بمدرسة " براغ "[1] وعلى الرغم من أنّ النحو النظـــامى عنـــد هـــاليداي - كمـــا سيأتى- كان يشتمل على مكونات وظيفيـــة functional components وعلى الرغم من أن النظرية التى تكمن خلف نحوه الوظيفـــى نظريـــة" نظامية "، فقد حصر اهتمامه فى هذه المرحلة الثالثة من التطـــور فـــى الجانب الوظيفى من النحو ، أى فى تفسير تجســـيد الأنمـــاط النحويـــة للوظائف ، وصلة ذلك على وجه الخصوص بتحليل النص.[2] والنـــص عنده هو " كل ما يقال أو يكتب " وبؤرة الاهتمام هنا هى " اللغـــة فـــى الاستعمال language in use . والنحو الوظيفى عنده نحو طبيعـــــــى natural بمعنى أن كل شئ فيه يمكن إيضاحه بالإحالـــة إلى طبيعـــــة الاستعمال اللغوى ، وهو على ذلك ليس نحواً شكليا بحال ، بل هو نحو استعمالى، الوظيفة فيه لا ترادف الشكل بل الاستعمال. [3]

وسوف نحاول فى هذا الفصل أن نتتبع تطور النظرية فى المرحلة الثانية التى تسبق ظهور كتابه " مدخل إلى النحو الوظيفى " الذى يعـــدّ

---

(1)Malmkjær, K.: Functional Grammar, in Malmkjær, K. (ed) 1991 P.141.

(2)Ibid, P 141.

(3)Halliday , M.A.K (1985) An Introduction to Funtional Grammar. Edward Arnold , London . P : v

إيذاناً ببدء المرحلة الثالثة من تطور هذه النظرية. وسوف نشير إلى ما أصاب بعض المفهومات السابقة من توسعة أو تطوير ، وما أضيف من مفهومات جديدة، وما أصبح الاهتمام به أقل مما كان.

أولاً : النظام وشبكاته :

رأينا فى الفصل السابق كيف كان النظام فصيلة من أربع فصائل أساسية فى نموذج " المقياس والفصيلة " ، وكان المقصود به مجموعة مغلقة من الاختيارات المتاحة فى مواقع معينة من التركيب انسجاماً مع مبدأ تعدد الأنظمة عند فيرث. [١]

وقد تطور هذا المفهوم تطوراً واضحاً فى هذه المرحلة ، فلم فلم يعد ، كما استخدمه هاليداي فى نموذجه المبكر ، مجموعة مفردة من الاختيارات ، بل تعدى ذلك إلى ما سمى شبكة النظام system network، وهو مصطلح يدل دلالة واضحة على تشابك العلاقات بين عناصر النظام الواحد من جهة ، وبين الأنظمة المختلفة من جهة أخرى. [٢]

وقد ذكر هاليداي أن نحو أية لغة هو فى الحق شبكة كبرى من الأنظمة المتشابكة ترتب فيها الأنظمة ترتيباً متدرجا hierarchical ، أو متزامنا semaltaneous ومعنى الترتيب المتدرج أن أى نظام يعتمد اعتماداً مباشراً على النظام الذى يقع على يساره (فى الإنجليزية) أو

---

(1)Butler, Ch.S. (1985) P . 40

(2)) Malmkjær,K.: Fanctional Grammar , in Malmkjær K, (1991) P.44

على يمينه (فى العربية) مباشرة ، على مقيـاس التفصيل ٠ والنظـام السابق هـو الذى يمدّ اللاحـق بنقطة الدخول point of entry إليـه ، ومعنى ذلك أن الاختيار من نظام ما غير ممكن إلا عن طريق عنصـر مختار سابقاً من نظام أقل منه تفصيلا. (١)

وليس المقصود بالتزامن أن الاختيارات المتزامنة تتم فى اللحظة نفسها، بل المقصود به أن نظاميين مستقلين أو أكـثر يقعان فى نقطـة واحدة من مقياس التفصيل ، ولكل منهما شرط دخول واحد. (٢)

وشبكات الأنظمة تعمل فى إطـآر رتبـة rank معينـة للوحـدة unit كرتبة العبارة مثلاً بوصفها نقطة منشأ point of origin وقـد أصبح مـن الممكن ترتيب الأنظمـة فـى شبكـات بعـد أن وسـع مفهـوم التفصيل delicacy ليشمـل العلاقـات النظاميـة systemic relation (٣)وإيضاحاً لذلك نورد الآن تخطيطاً لشبكة نظامية. (٤)

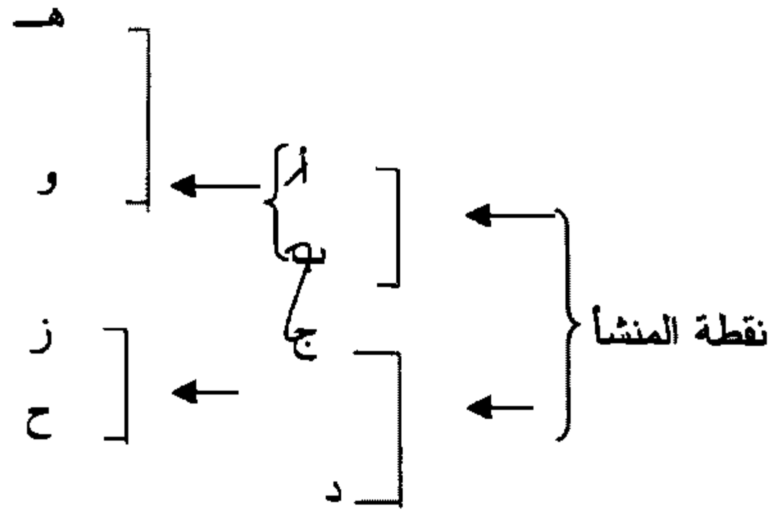
---

(1) Halliday, M.A.K(1966):Deep grammar:system as semantic choice, in : Kress. G.(ed) (1976) P .92 f
- Butler, Ch.S.(1985) P. 40
- Berry, M. (1975) vol. 1 P. 179 f.

(2) Halliday M.A.K. (1966) , in : Kress, G . (ed) 1976 p. 93
- Berry, M. (1975) P . 182 f

(3) Butler, Ch.S. (1985) P0 40

(4) Ibid , P. 41



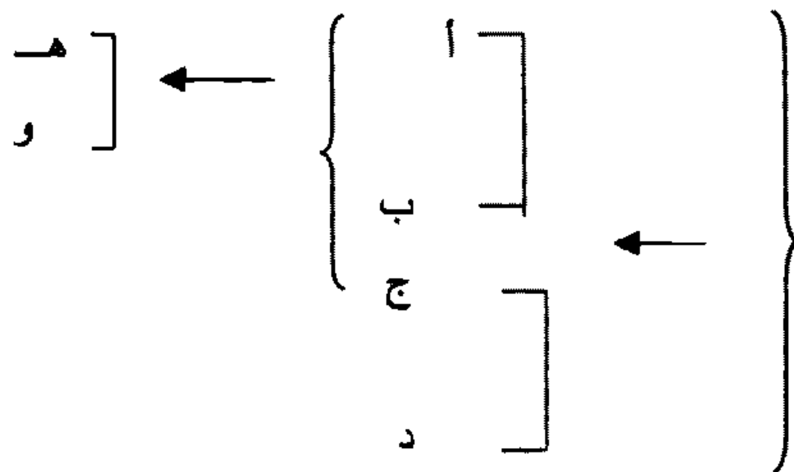
هذا تخطيط لشبكة نظام تجريدية ذات نقطة منشأ معينة منها نظامان متزامنان هما أ/ب ، ج/د ، وعلاقة التزامن تظهر في مواجهة القوس { الدال على النظاميين المتزامنين ، والاختيار من كل من النظاميين المتزامنين محصور في أربعة تجمعات محتملة من العناصر هي: أج ، ب ج ، أ د ، ب د .

والعناصر المختارة من عبارة معينة أو ضميمة اسمية أو غير ذلك يشار إليها غالباً على أنها سمات features لتلك العبارة ، ويمكن لذلك أن نتحدث عن عبارة اختارت السمة " استفهامية " مثلاً ، أو ضميمة اختارت السمة مفرد ، وهكذا. وقد جرى العرف عند النظاميين بوضع السمة بين معقوفين [ ]، والسهم المتجه من السمة [أ] إلى النظام [هـ] / [و] ، ومن السمة [ج] إلى النظام [ز] / [ح] يشير إلى علاقة الاعتماد dependence relation ، فإذا اختيرت السمة [أ] من النظام [أ] / [ب] فإن الاختيار التالي يجب أن يكون بين [هـ] و [و] ، كذلك إذا اختيرت السمة [ج] فإن الاختيار التالي

يجب أن يكون بين [ز] و [ح] ، فالشـــبكة network تســمح بتســعة تجمعات محتملة من السمات النظامية النهائيـــة terminal systemic feature هى :

[هـ ز]، [هـ ح]، [هـــــ د]، [و ز]، [و ح]، [و د]، [ب ز]، [ب ح] ، [ب د]. (١)

وقد يكون الاعتماد بسيطا كما ظهر ، وقد يكون مركباً كما فـــى الشكل الآتى :



فإذا أريد الدخول إلى النظام [هـ] / [و] فمن اللازم قبـــل ذلـــك اختيار [أ] و [ج] معاً من النظام الخاص بكل منهما.(٢)

(1)Ibid, P. 41

(2)Ibid, P. 42

ولكى لا يظل الأمر فى حيز التجريد من الممكن أن نورد شبكة النظام الخاصة بالصيغة mood [1] فى اللغة العربية ، وقد وجدت أستاذنا تمام حسان قد سبق إلى ما يمكن أن يكون تخطيطاً مختصراً لذلك [2] مما يثير عندى إحساساً قويا بأنه كان على صلة وثيقة بهذه النظرية ، وإن لم يفصح عن ذلك ، وسوف أعيد عرض ما قدمه على نحو ينسجم مع تخطيط شبكات الأنظمة فى هذه النظرية ، وذلك على النحو الآتى :

---

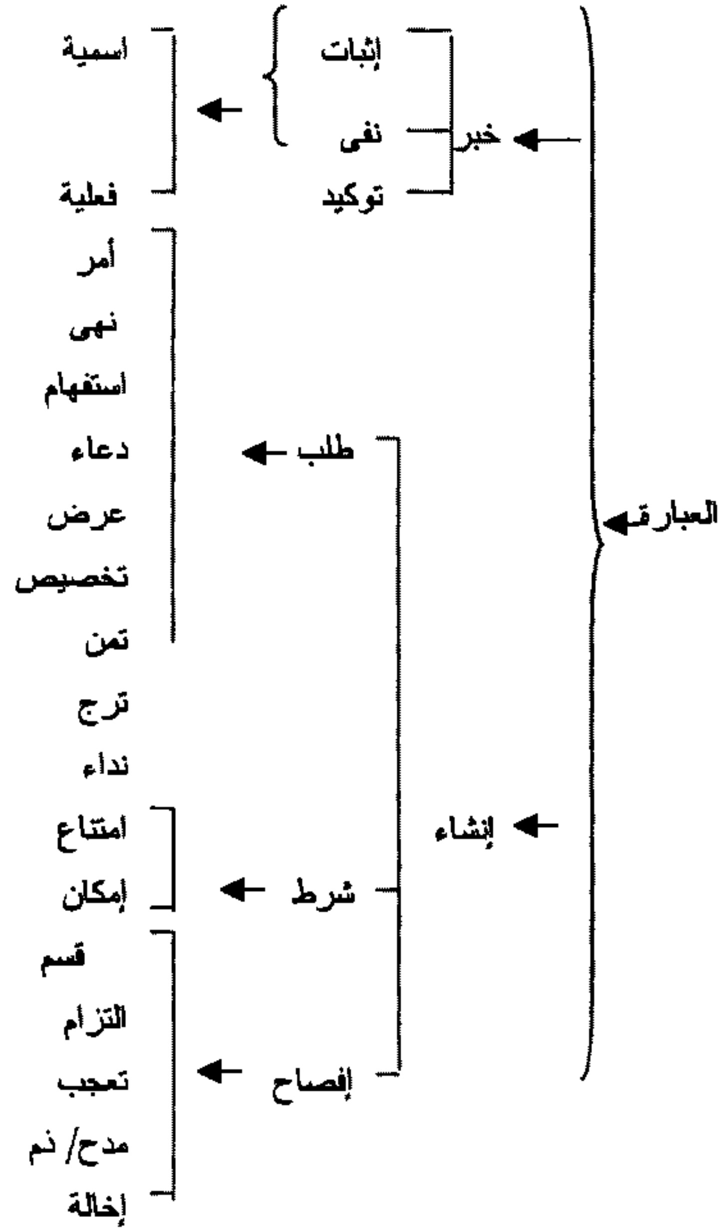
(١)انظر تخطيط هاليداي لها فى اللغة الإنجليزية فى :

- Halliday M.A.K. (1966) , in : Kress, G. (1976) P. 93

- وانظر تخطيطا لشبكة نظام سيمية غير لغوية فى :

- Eggens, S (1994) An Introdnction to Systemic Functional Linguistics. Pinter publishers. London . p. 205 f .

(٢) تمام حسان : اللغة العربية معناها ومبناها (القاهرة ١٩٧٣) الجدول المقابل للصفحة ١٩١.



ويظهر فى الشبكة أنّ نقطة المنشأ هى العبارة ، والمقصود بها الجملة البسيطة المستقلة التى تقوم على إسناد واحد ، فإذا اخترتها للتعبير كان عليك أن تختار بين أن تكون خبراً أو إنشاء ، فإذا اخترت أن تكون خبراً كان عليك أن تختار بين أن تكون إثباتا أو نفيا أو توكيداً، فإذا اخترت واحداً منها كان عليك أن تختار بين أن تكون العبارة اسميّة أو فعلية . وإذا اخترت أن تكون العبارة إنشاء كان عليك أن تختار بين

أن تكون طلباً أو شرطا ، أو إفصاحا ، فإذا اخترت أن تكون طلباً كـان عليك أن تختار بين أن تكون أمراً ، أو نهيا ، أو استفهاماً أو دعـاء ، أو عرضاً أو تحضيضاً ، أو تمنيا أو ترجيا ، أو نداء ٠ وإذا اخترت أن تكون شرطا كان عليك أن تختار بيـن الشـرط الإمكـانى والشـرط الامتناعى ، وإذا اخترت أن تكون إفصاحاً كان عليك أن تختـار بيـن القسـم ، والالتزام ، والتعجب ، والمدح أو الذم ، والإخالة.

وواضح أن كل اختيار نظام له شبكته الخاصة به ، فمن الممكـن أن نفصل القول في نظام الاستفهام أو النفى أو الأمر ، أو التوكيـد ، أو الشرط ٠٠٠ الخ ، وأن نرسم شبكته التى تحدد العلاقة بين عنـاصره ، وبين غيره من الأنظمة ٠ وواضح أيضاً أن اختيارك للخبر مثلاً شـرط دخول إلى نظام الإثبات أو النفى أو التوكيد ، واختيارك لواحـد منـها شرط دخول إلى العبارة الاسمية أو الفعلية ، وكذلك اختيارك الدخـول إلى نظام الأمر مشروط باختيارك للطلب بعد اختيـارك للإنشـاء ... وهكذا. ومن الممكن بعد ذلك أن نلفـت إلـى أمـور نراهـا جديـرة بالملاحظة:

١ - مفهوم شبكة النظام ينحرف درجة ما عن التفسير الفـيرثى لمبـدأ تعدد الأنظمة polysystemic principle على الرغم مـن أن ذلـك لا يستلزم التخلى عنه فعند فيرث كانت بيئة الأنظمـة environment of systems كلـها رأسـية paradigmatic ، وأن أنظمة فردية تختص بمواقع معينـة فى التركيب. أما عند هاليداي فبيئة الأنظمة بعضها رأسـى،

وبعضها أفقى.[1]

٢ - شبكة النظام تتألف من مجموعة من الإمكانات يحجب بعضها بعضاً ، فإذا اخترت واحداً منها امتنع اختيار الآخر، وهى من ثم تشتمل على ما اختاره المتكلم فعلاً ، وما كان من الممكن أن يختاره ، لكنه لم يختره.[2]

٣ - اعتماد نظم على أخرى محكوم بتحقق شرط الدخول من نظام إلى نظام يحدده ما بينهما من علاقات ، ومن خلال هذه العلاقات يمكن التنبؤ بأن سمات معينة يمكن اختيارها على حين لا يمكن اختيار سمات أخرى ، من هنا فإن اللانحوية ungrammaticality يمكن التنبؤ بها تنبؤاً صحيحا.[3]

٤ - كل شبكة نظام لا بدَّ لها من نقطة منشأ point of origin ، وهذه النقطة تؤخذ من رتبة معينة على مقياس التفصيل، وأكثر ما تكون عبارة أو جملة بسيطة، لكن يجوز أن تكون غير ذلك كالضميمة أو الصنف الاسمى فى

(1)Halliday M.A.K. (1966) , in : Kress,K.(ed) 1976 P. 91 f., 97
-Butler, Ch.S.(1985) p. 45
-Eggins,S.(1994) p.210
(2)Butler, Ch.S. (1985) P. 4
(3)Ibid, P. 45
- Berry, M. (1975) vol. 1 p . 184

الضميمة، وهكذا.[1]

٥ – اقتضى ترتيب الأنظمة فى شبكات أن يوسع مفهوم التفصيل delicacy فأصبح يشمل العلاقات النظامية systemic relations بعد أن كان مقصورا على العلاقات التركيبية structural reation .[2]

٦ – شبكة النظام غير محصورة open - ended ، وهى لا تقتصر على مستوى واحد من مستويات الوصف اللغوى ، بل تشملها جميعا، فهناك الشبكة الدلالية semantic netwak ، والشبكة النحوية grammatical ، والشبكة الصواتية (=الفونولوجية).[3]

٧ – شبكات النظام مأخوذة فى حقيقة أمرها من وظائف اللغة ، ومعبرة عنها ، ومن الممكن أن تؤخذ شبكة النظام من أكثر من وظيفة ، فمن خلال الوظائف تعبر الشبكات عن سياق الاستعمال.[4] فشبكة الصيغة التى ذكرناها على سبيل المثال مأخوذة من الوظيفة التبادلية

---

(1)Butler, Ch.S.(1985) p .40
- Eggins, S. (1994) P . 208
(2)Butler, Ch.S. (1985) P . 40
(3)parret, H. (1974)discussing Language, Mouton, the Hague, P.87
(4)Halliday, M.A.K. (1970), in : Kress, G. (ed)1976 P. 30
- Malmkjær, K. (1991) P . 449

interpersonal function .[1]

ثانيا : توسيع مفهوم التحقيق :

فى سنة ١٩٦٤ استعار هاليداي مصطلح التحقيق realization من سيدنى لامب sydeney M. Lamb الذى يعد مؤسس علم اللغة الطبقاتى (= التنضيدى) Stratificational Linguistics .[2] وكان لامب يرى أن التصورات العقلية تظهر فى صورة أصوات إنسانية ، وأن اللغة جهاز فى جهة منه تقع التصورات العقلية التى اختزنها العقل من العالم المحيط بنا ، وفى الجهة المقابلة تقع الأصوات اللغوية التى ينطقها المتكلم ليعبر بها عن هذه التصورات ، وهذا الجهاز يعمل متجها من التصورات إلى الأصوات فيمكن المتكلم من وضع الشفرة encoding ، كما يعمل متجها من الأصوات إلى التصورات فيمكن السامع من فك الشفرة decoding .[3] وقد رأى لامب أن هناك ست طبقات strata من العلاقات هى:

١ - الطبقة السيميمية العليا hypersememic stratum ، وهى أعلى الطبقات الست التى تقسم إليها اللغة ، وتشتمل على الدلالات الكبرى.

---

(1)Martin, J.R.: Systemic Grammar, in : Bright, W . (ed)1992. International Encyclopedia of Linguistics. Vol. 4 P. 121

(2)Butler ,Ch.S.(1985) P. 51

- Mindt , D(1975) P . 126

(3)Mindt , D(1975) P . 126 f

٢ – الطبقة الســـيميمية sememic stratum ، وتشـــتمل علـــى الوحدات الصغرى المجردة.

٣ – الطبقة اللكســـيمية lexemic stratum ، وتشـــتمل علـــى المفردات اللغوية.

٤ – الطبقة المورفيمية morphemic stratum : وتشتمل على مورفيمات اللغة.

٥ – الطبقة الفونيمية phonemic stratum : وتشـــتمل علـــى فونيمات اللغة.

٦ – الطبقة الصوتية hypophonemic وتشتمل على الأصـــوات التى هى أقل من الفونيمات.

والعلاقة بين كل طبقة وأخرى أطلق عليها مصطلح " التحقيـــق " فعناصر كل طبقة تحققها عناصر الطبقة التى تليها فنصل عبر الطبقات الست من التصورات العقلية إلى الأصوات الكلامية. [1]

وقد أفاد هاليداي من هذا التصور ، فرأى كما رأى لامب التحقيـق علاقة بين النظام الدلالـــى semantic system والنظـــام المعجمـــى– النحوى lexicogrammatical system، ورتب ذلك أنّ "يمكن أن يقول can say" هـــى تحقيق لــ" يمكن أن يعنى can mean" ، فالنحو هـــو "ما يمكن للمتكلم أن يقوله " والتحقيق هـــو "ما يعنيه المتكلـــم بقولـــه"،

---

(1)Ibid, P . 127

وعلم الدلالة يهتم بما " يمكن أن يعنيه المتكلم"، وما يمكـــن أن يفعلــه المتكلم " تحقيق لما يمكن أن يعنيه ، لكنه تحقيق من نوع مختلـف إذ إن "ما يمكن أن يفعل " يقع خارق نطاق اللغة. وقد تجاوز ذلـــك، إلـــى أن هناك علاقة تحقيق بين النظام الدلالى وبعض المستويات السيمية العليـــا التى يمكن أن تســـميها إن شـــئت النظـــام الســـلوكى behavioural system.[1]

وقد وســـع هاليداي بنـــاء على ذلك شــــبكة الصيغــــة mood network لتشمل ما سمى من بعد الصيغية modality ۰ وقد وســـــع أيضاً شبكة الموضوع المقدم tematization (بمعنـــــى تقديـــم أحـــد العناصر ليصبح هو الموضوع) ليشمل الموضوع المركـب complex theme،[2] كما وضع قواعد للتحقيق realization rules ، منـــها : أن العبارة الإنجليزية إذا كانت غير أمرية indicative ذكر المسند إليــــه، وإذا كانت تقريرية declarative استخدم المسند تاليا للمسند إليـــه، وإن كان الموضـوع theme غير موسوم unmarked ادمج المسند إليه مـــع الموضـوع وقد قدم كل قواعد التحقيق من خلال ما أسماه حـــزم الأدوار الوظيفية bundles of functional rules.[3]

---

(1)Halliday , M.A.K. (1973) : Explorations in Functions of Language . Edwar Arnold. London P . 82
- Parrot , H . (1974) P.86
- Berry , M . (1977) Vol. 2 P . 50 , 128

(2)Butler , Ch.S. (1985) P 51 f

(3)Ibid. ,p.52

وينبغى اللفت إلى أن ثمة ترتيبا لقواعد التحقيق يحدده مقيـــاس التفصيل للسمــات النظاميــة المحققــة ، فمثلا السمـــة (غير أمرية) يجب أن تتحقق قبل (تقريرية)، أى أن الاختيار الأقــل تفصيلاً يتحقق قبل الاختيار الأكثر تفصيلا لكن الاختيارات المتزامنة يمكن أن تتحقــق دون أن يشــترط فيها ذلك. [١]

ثالثا : **النحو الباطن** deep grammar

استطاع هاليداي فى بحث له سنة ١٩٦٦ عنوانه: " **النحو الباطن: النظام اختياراً دلالياً**" أن يقدم تمييزا للجوانب الباطنة والجوانب الظاهرة للأنماط اللغوية تمييزاً يختلف اختلافاً بينا عــن التميــيز الــذى قدمــه تشومسكى ، واستخدم فيه تشومسكى مصطلحى هوكت Hockett البنية الظاهرة surface structure والبنية الباطنة deep structure . [٢]

لقد انطلق هاليداي من نقطة قدمها فى بحثه عن الفصـــائل ســنة ١٩٦١ هى أن علاقة الترتيب order بين عناصر التركيب فى الوحــدة المرادة مختلفة عن علاقة التسلسل sequence بين المحققات الســطحية للتركيب ، وهى أشدّ تجريداً منها وأعمق ، فالتسلسل ما هو إلا طريقــة من طرائق كثيرة تتحقق بها العلاقات التركيبية ، من ثم فإن محققـــات الأصناف النحوية فى علاقاتها الأفقية التسلسلية تمثل المظهر الخــارجى surface manifestation على حيــن أن العلاقــات التركيبيــة بيــن

---

(1)Ibid ,p.53

(2)Halliday , M .A.K. (1966) : Deep grammar : system as semantic choice, in : Kress, G (ed) 1976 p . 88

العناصر المجردة مثل المسند إليه ، والمسند والتكملة ، والمستلحق تمثل البنية الباطنة للأنماط الأفقية أو التركيبية ، وكلتا البنيتين الباطنة والظاهرة موصولة عند هاليداي بالتحقيق [1] فهو المعبر من هذه إلى تلك ، والتراكيب structures هى التى تمثل العلاقات الأفقية الباطنة ، والأنظمة هى التى تمثل العلاقات الرأسية الباطنة. [2] على أن العلاقة بين المعنى المحتمل ، والمعنى المحقق فى النحو النظامى تختلف اختلافاً بيناً عن العلاقة بين السليقة competence والأداء performance فى النحو التحويلى، فالنحو النظامى لا يميز إطلاقا بين المعنى المحتمل وتحقيق هذا المعنى فى سياق محدد. إنه لا يفسر المعنى المحتمل بوصفه " نمذجة " للمعرفة التى يحوزها ابن اللغة ، ولا يرى المعنى المحتمل ضرباً من البنية الباطنة deep structure يتطلب تحويلات متعددة لإنتاجه فى البنية الظاهرة المستخدمة فعلا. فالتحقيق فى النحو النظامى يمثل اختيار المتكلم من المحتمل، ولهذا فالنحو النظامى نحو استعمال. [3]

لقد اتخذ هاليداي خطوة من أكثر الخطوات حسماً فى تطور نموذجه تتمثل فى القول بأن العلاقات الرأسية paradigmatic relations لا تقل فى أهميتها عن العلاقات الأفقية • وظاهر أن إعطاء هاليداي الأولوية للعلاقات الرأسية يخالف مخالفة صريحة الاتجاه التحويلى التوليدى الذى يكاد يقصر اهتمامه على العلاقات الأفقية

---

(1)Butler , Ch. S. (1985) p . 45

(2)Ibid , p 45 f

(3)Morley , G . D . (1985) p . 43 f

syntagmatic relations .[1]

ويقرر هاليداي أن النحو الباطن نحو دلالى سواء اعتبرنا الدلالة مدخلاً input وفاقاً للامب ، أم اعتبرناها تفسيراً interpretation وفاقاً لتشومسكى ، وليس من شك عنده فى أن السمات النظامية systemic Features ، وهى جزء من النحو النظامى ، وثيقة الصلة بعلم الدلالة. [2]

لقد تمسك هاليداي منذ البداية ـــ موافقاً فيرث ـــ بأن العناصر اللغوية ذات معنى، لكنه هنا يطالب مطالبة صريحة بأن يكون النحو انعكاساً للمعانى من خلال اختيارات من أنظمة ، ومجموع أنظمة اللغة هو الذى يكون نحوها الباطن. [3]

رابعا : وظائف اللغة وفرضية المكونات الوظيفية :

عنى هاليداي بالإجابة عن السؤال : لم كانت اللغة على هذا النحو الذى هى عليه ؟،[4] وكانت الإجابة عنده هى أن طبيعة اللغة تتصل اتصالاً وثيقاً بما نريده منها ، وما نريده منها هو الوظائف التى تقوم بها اللغة من حيث هى نشاط اجتماعى لإشباع الرغبات وتحقيق

---

(1)Malmkjær, K.:Systemic Grammar, in Malmkjær, K.(ed) 1991 p448
- Morley , G. D . (1985) p 42

(2)Halliday , M .A.K. (1966) in kress, G. (ed) 1976 p 94

(3)kress, G. (ed) 1976 p .xix

(4)Halliday , M .A.K . (1970) : Language Structure and Language Function , in: Lyons, J. (ed.) , (1975) P . 141

المتطلبات.[1] فليست وظائف اللغة إلا الطرائق التى يستعمل بها الناس لغتهم لإنجاز عدد من الأهداف المختلفة والأغراض المتباينة ، فوظائف اللغة فى أبسط معانيها مرادفة لاستعمالاتها. [2]

وقد أشار هاليداي إلى محاولات سابقة لتصنيف وظائف اللغة قام بها عدد من العلماء والباحثين [3]منهم مالينوفسكى (١٩٢٣) الذى قسم اللغة إلى فئتين كبيرتين إحداهما مقامية pragmatic ، والأخرى سحرية magical ، فقد كان الرجل بحكم كونه متخصصا فى علم الإنسان معنيا بالاستخدامات العملية والمقامية للغة فضلاً عن اهتمامه بالاستخدامات الطقوسية أو الدينية.

ومنهم كارل بيولر Karl Bühler (١٩٣٤) الذى اهتم بوظائف اللغة من وجهة نظر لا تعنى بالثقافة ، بل بالفرد، فميز بين ثلاث وظائف : تعبيرية expressive تتجه إلى النفس أى أنها منوطة بالمتكلم، ونزوعية conative وهى التى تتجه إلى المخاطب، وتمثيلية representational وهى التى تتجه إلى سائر الموجودات، أى إلى غير المتكلم والمخاطب.

وقد تبنت مدرسة براغ اهتمام بيولر بوظائف اللغة، ووسعها من بعد رومان ياكوبسون ١٩٦٠ فأضاف ثلاث وظائف أخرى هى الوظيفة

---

(1) Ibid , P 142

(2). (1990) p . 15

– Halliday , M .A.K & Hasan , R

(3)Ibid , P 15 ff

الشعرية poetic وتتجه إلى الرسالة message ، والوظيفة التعاملية transactional وتتجه إلى قناة الاتصال channel ، والوظيفة الماورائية أو الواصفة metalinguistic وتتجه إلى الشفرة code.

وذكر هاليداي أن جيمس بريتون J. Britton (١٩٧٠) وضع إطاراً يتألف من الوظائف التعاملية والتعبيرية والشعرية للغة ، وربط ذلك بقدرات الكتابة عند الأطفال ، فهى ــ فيما يرى ــ تتطور فى سياق تعبيرى متجهة إلى الكتابة التعاملية transactional ثم الكتابة الشعرية poetic .

وأشار هاليداي إلى أن ديزموند موريس D. Morris قدم سنة ١٩٦٧ تصنيفاً آخر لوظائف اللغة يتمثل فى الحديث الإخبارى informational talking والمزاجى mood ، والاستكشافى exploratory ، والمتلطف grooming ، فالأول يقوم على تبادل المعلومات ، والثانى وظيفته تعبيرية ، والثالث يؤدى وظائف جمالية ، والرابع ثرثرة مهذبة تستخدم فى المناسبات الاجتماعية ، وهو ما أطلق عليه مالينوفسكى من قبل اتصال المجاملة أو التودد phatic communicution.

وقد رأى هاليدى أنه على الرغم مما يبدو فى هذه التصنيفات من اختلاف فهناك تماثل كبير بينها ، إذ تسلم كلها بأن اللغة تستعمل لتحقيق أهدافى وأهدافك تعبيراً عن النفس وتأثيراً فى الآخرين ، ولفت إلى أن

هناك وظيفة أخرى تتمثل فى الجانب الجمالى أو التصوير المجازى. [1]

وقد مكنه النظر فى هذه الوظائف من القول بأن الوظيفة عند هؤلاء تعادل الاستعمال ، بيد أنه أراد أن يخطو خطوة أخرى تتجاوز ذلك إلى القول بأن وظيفة اللغة ليست مجرد استعمال لها ، بل هى بنية ذاتية أو أساس مكين من أسس تكوين اللغة ذاتها لا بدّ منه لإدراك نظامها الدلالى على وجه الخصوص ، فالوظيفة إذن ليست مجرد استعمال للغة ، بل هى خاصية جوهرية للغة نفسها ومكون من مكوناتها. [2]

من هنا تجاوز هاليداي ما قدمه سابقوه من تصنيفات لوظائف اللغة تتجه كلها اتجاهات اجتماعية أو نفسية إلى وصف لوظائف اللغة يصلها بالنظام اللغوى. [3] فإذا فتشنا المعانى الكامنة فى اللغة وجدنا عدداً ضخما من الاختيارات تضمها شبكات مستقلة من الإمكانات ، وهذه الشبكات تنسجم مع وظائف أساسية محددة للغة ، وهذا يجعلنا قادرين على أن نصف الوظائف المختلفة للغة من حيث إن لها صلة وثقى بالتركيب اللغوى بدلاً من الاتجاه بها وجهة اجتماعية أو نفسية. [4]

---

(1)Ibid , P 16

(2)Ibid , P 17

(3)Halliday , M .A.K . (1970), in : Lyons, J. (1975) p . 142

(4)Ibid , P 142

لقد لحظ هاليداي سنة ١٩٦٨ أربعة مكونات وظيفية functional components أطلق عليها : المكون التجريبي experiential ، والمكون المنطقي logical ، والمكون الخطابي discoursal، والمكون الكلامي الوظيفي speech functional أو المكون التبادلي interpersonal ، ثم أعاد النظر فيها سنة ١٩٧٠ فضم المكونين التجريبي والمنطقي تحت مصطلح جامع هو الوظيفة الفكرية ideational ، وأعاد تسمية المكون الخطابي ليصبح الوظيفة النصية textual وأبقى على المكون التبادلي مطلقاً عليه الوظيفة التبادلية.(١) ثم قدم تحليلاً للنصوص من خلال هذه الوظائف مستبدلاً بالوظيفة المعنى ، لأن الوظيفة عنده هي المعنى فتحدث عن المعنى التجربي والتبادلي ، والمنطقي ، والنصّي.(٢)

هذه المكونات الوظيفية هي التي يقوم عليها النظام الدلالي للغة ، فعلم الدلالة لا يقتصر على معاني الكلمات ، بل هو النظام الشامل لمعاني اللغة يعبر عنه بالنحو كما يعبر عنه بالمفردات ، والسلاسل النحوية نفسها تحتوي على كلا النوعين المعجمي كالأفعال والأسماء والنحو كأدوات التعريف ، والشرط والربط والإضافة ... الخ.(٣)

---

(1)Ibid , P.143.
- Butler , Ch.S. (1985) P . 74
(2)Halliday , M .A.K .& Hasan , R. (1990) P. 18 ff
(3)Malmkjær , K . (1991) p. 142
- Kress, K. (ed) 1976 P . xx

وسوف نعرض الآن لهذه المكونات ؛ لأنها مفتاح أساسي من مفاتيح النظرية اللغوية عند هاليداي: (١)

١ ـ المكون الفكرى :

وهو تجسيد لخبرة المتكلم بعالم الواقع سواءٌ فى ذلك العالم الخارجى الذى يحيط به ، أو العالم الداخلى الذى يدور فى أعماقه ، ويمثل وعيه الخاص. (٢)

هذا المكون الفكرى يتفرع كما أشرنا إلى مكونين فرعيين:

أحدهما : المكون التجريبى experiential :

وهو يعنى بالتعبير عن العمليات processes والمشاركين participants والظروف circumstances ، ونحو ذلك .

الثانى : المكون المنطقى logical :

وهو يزودنا بالتعبير اللغوى عن العلاقات الجامعة universal relations ، كتلك التى تكون بالربط co- ordination أو التفريع subordination أو الشرط أو الإضافة أو البدل...الخ.(٣) فنحن نقول مثلاً نسى الرجل المفتاح ثم عاد ليأخذه لكننا لا

---

(1)Butler, Ch.S. (1985) P . 46

(2)Halliday , M .A.K . (1970), in : Lyons, J. (1975) p . 143

(3)Halliday , M .A.K . (1968) : Notes on transtivity and theme in English . part 3 . Journal of Linguistics no 4 P . 259
- Halliday , M .A.K . & Hassan , R . (1990) p . 18 f , 25 f

نستطيع أن نقـــول : عاد ليأخـــذه ثم نســـى الرجل المفتاح.[1]

٢ ـ المكون التبادلى :

وهو أولاً : تأسيس للعلاقات الاجتماعية social relations بيـــن الناس أو حفاظ عليهـــا ، وذلك بفتح قنوات الاتصـــال بينهم أو إبقائهـــا مفتوحـــة كالتحيـــات والحـــديث عن الطقس، أو السؤال عن الحال. وتبادل الأقوال فى هـــذا المجال يجرى على أنماط من الصياغة مـــن الممكـــن توقعها، لا يكـــاد يخرج عنها أحد، فذا خرج عنها عـدّ قوله شاذا أو خارجاً عن المألوف.[2]

وهو ثانياً : وسيلة instrument للتأثير فى ســـلوك الآخريـــن ، وتوجيههم إلى أشياء معينة قولاً أو فعلاً ، كالرجـــاء ، والاستفسار، والنصح، والنـــهى، والتحذيـــر والأمـــر، والتهديد ... الخ.[3]

وهو ثالثا : تعبير عن موقف المتكلم قبولاً أو رفضاً، أو ترجيحـــا أو شكاً أو توقعاً أو اندهاشا أو آسفاً ... الخ.[4]

---

(1)Morley, G.D. (1985) p . 44 f

(2)- Halliday , M .A.K . (1970), in : lyons, J. (1975) p . 143
- Halliday , M .A.K . & Hasa n , R . (1990) p . 20
- Morley, G.D. (1985) p . 44

(3)Morley, G.D. (1985) p . 45 f

(4)Ibid p . 46

٢ ـ المكون النصّ :

وهو المسئول عن تحقق المكونين السابقين من خلال نــــص text مناسب للسياق يتميز بالتماســك coherence والـــترابط cohesion ، ويجرى على أعراف أهل اللغة فى الاستعمال بحيث يجعل الســـامع أو القارئ قادراً على تمييز النص من مجموعة عشوائية مـــن الجمـــل.[١] إيضاحا لذلك نسوق المقارنة الآتية بين قطعتين إحداهما غير جديرة بأن تسمى نصا والأخرى جديرة بذلك. [٢]

القطعة الأولى :

وجد زيـــد حقيبة فى الطريـــق. أخـــذ زيـــد حقيبـــة. سلم زيـــد حقيبـــــة إلى قسم الشرطة. رجع زيد إلى بيته.

القطعة الثانية :

وجد زيد حقيبة فى الطريق فأخذ الحقيبة وســـلمها إلـــى قســم الشرطة ، ثم عاد إلى بيته.

والقطعتان متماثلتان فى المكونين الفكـــرى والتبـــادلى ، لكنـــهما مختلفتان فى المكون النصّى ، فالقطعة الأولى تتجاهل حقيقة واضحــــة هى تكرار العناصر اللغوية ، فهـــى تعامل كل عنصر يذكر على أنـــه يذكر لأول مرة ، ولا تعنى بإقامة علاقة بين الجمل بعضها مع بعـــض،

---

(1)Halliday , M .A.K . (1970), in :Lyons, J. (1975) p . 143
- Halliday , M .A.K . & Hasa n , R . (1990) p . 22
- Butler, Ch.s. (1985) P . 47

(2)Berry , M . (1977) vol . 2 p . 119

أما القطعة الثانية فتستعمل أداة التعريف بعد أن صارت النكــرة معرفة، وتستبدل بالاسم الظاهر ، الذى سبق ذكره ، ضميره ، وتستخدم وســائل للربط بين الجمل • من ثم كانت القطعة الثانية جديرة بأن تسمى نصا.

وقــد يقــوم المكــون النصى بمهمـــة إبـــراز prominence عنصر معين فى النص من خلال الوســم markedness [1] كقـــولك: الله أســأل لك التوفــيق والســداد أو قولـــه تعالـــى : ﴿**أ أنت فعلـــت هذا**﴾. (الأنبياء ٦٢).

ويؤكد هاليداي أنه ليس واحد من هذه المكونات أهم من الآخــر ، ولا أشدّ تجريداً منه ، وليس منفصلا عن المكونـــات الأخــرى ، بــل تتداخل خيوطها جميعا مكونة نسيج النص ، فنحن لا نستطيع أن نقــول إن لهذه العبارة مكوناً فكريا فحسب ، أو أن لتلك مكونا تبادليــا فقــط ، فالحياة على وجه العموم ليست كذلك ، ومن المؤكد أن اللغة ليست كذلك أيضا ؛ ففى كل نص تتعدد الوظائف والمكونات ، وما ينبغى أن ننظــر إلى أى منها بمعزل عن الآخر بل ينبغي النظر إليها من جهات متعددة، كل جهة منها تسهم فى التفسير الكلى للنص أو الخطاب، وتلك طبيعـــة الاتجاه الوظيفى.[2] ويستخدم هاليداي أحياناً القياس علـــى الموســيقى متعددة النغمات polyphonic music لإيضاح ذلــك، إذ تجــدل فيــها خيوط عديدة من النغــم لإنتاج اللحن الموســيقى الكــامل فــى شــكله النهائى، كذلك اللغة، كل خيط فى التركيب اللغوى مجدول مع واحد من

---

(1)Berry , M . (1977) vol . 2 p . 120 f

(2)Halliday , M .A.K . & Hasan , R . (1990) p . 23

المكونات الوظيفية. [1]

ولما كان اتجاه هاليداي إلى النحو ذى التوجه الدلالى واضحاً منذ سنة ١٩٦٦ فما بعدها لم يكن غريباً أن تصبح العلاقات الوظيفية ذات التوجه الدلالى هى العناصر التى تكون خيوط التركيب فى كل مكون وظيفى، وأن تتمثل فى كل نمط من الأنماط المفاتيح فى النحو النظامى، وأهمها التعدية، والصيغة ، والموضوع ، وسوف نعرض لها الآن موجزين القول فيها :

التعدية transitivity :

التعدية مصطلح جامع يدل على التعبير اللغوى عن العمليات processes، وللعمليات أدوار وظيفية functional roles مختلفة تتمثل فى الحدث action والمشاركين فى العملية participants من أشخاص persons وأشياء objects ثم فى الظروف circumstances التى تقع فيها العملية ، شاملة الزمان ، والمكان ، والكيفية manner التى تتم بها[2] ، وهى تدخل تحت ما أسماه هاليداي المكون الفكرى أو الوظيفة الفكرية. [3]

والتعدية بجوانبها الثلاثة الأساسية: العملية، والمشارك، والظروف تطابق ثلاثة أصناف من الكلمات أو الضمائم موجودة فى أغلب لغات

---

(1)Butler, Ch.S. (1985) P . 48

(2)Halliday , M .A.K . (1970), in : Lyons, J. (1975) p . 146 f

(3)Ibid p . 145

العالم هى الفعل verb والاسم noun والظرف adverb • وفى الإنجليزية تعبر الضمائم الفعلية عن العمليات ، والضمائم الاسمية عن المشاركين، والظروف عن الأحوال والظروف circumstances ، ويدخل فى الظروف adverbs الضمائم الجرية prepositional phrases . [١]

وكل عبارة تختار بين ثلاثة أنواع من العمليات: [٢]

١ - العمليات الفيزيائية physical أو المادية material ، مثل غرس زيد شجرة، رمى على الكرة.

٢ - العمليات الذهنية mental مثل : عرف زيد الحق.

٣-العمليات العلاقية مثل: زيد هو القائد، ومثل زيد قائد شجاع.

وواضح من المثالين اللذين ذكرناهما للعمليات العلاقية أنها نوعان: تعادلية equative كما فى المثال الأول ، فزيد هو القائد ، والقائد هو زيد ، ونعتيه ahributive كما فى المثال الثانى إذ إن زيداً فيه واحد من صنف القادة الشجعان. والعمليات الذهنية لا يمكن وصفها بمصطلحى الفاعل actor والمفعول goal، بل بمصطلحي القائم بالعملية processor والظاهرة phenomenon • أما فى العمليات الفيزيائية أو المادية فيجوز الوصف بمصطلحى الفاعل

(1)Ibid p . 146 f

(2)Berry , M . (1977) vol . 2 p . 9 f

والمفعول. [١]

والعبارات التى تختار العملية المادية تختار بعد ذلك بين عبارة لها مشارك واحد متأصل inherent ، أى فاعل منطقى agent ، وعبارة لها مشاركان اثنان ، أى فاعل منطقى ، ومفعول به . والمشارك إما أن يكون عاقلاً أو غير عاقل كما فى نحو : سبح زيد من الشاطئ إلى الجزيرة ، ونحو : انساب الجدول ، ونحو: غسلت هند الثياب ونحو قطعت السيارة المسافة فى زمن قصير. والعبارة التى تتم بالفعل فيها تسمى المتوسطة middle ، والتى يحتاج الفعل إلى مفعول به تسمى غير المتوسطة non – middle. [٢]

والعبارات التى تختار العملية الذهنية تختار بين ردّ الفعل مثل: قرر زيد إصلاح خطئه، والإدراك مثل: فهم زيد المسألة ، والتلقى مثل: سمع زيد ضوضاء، والتعبير اللفظى مثل قلت كلاماً مفيدا. [٣]

والعبارات التى تختار العمليات العلاقية تختار بين التعادلية equative والنعتية attributive. [٤]ومن الممكن أن نعرض ذلك فى شبكة مبسطة جداً على النحو الآتى : [٥]

---

(1)Morley, G.D. (1985) p . 55

(2)Berry , M . (1977) vol . 2 p . 9 f

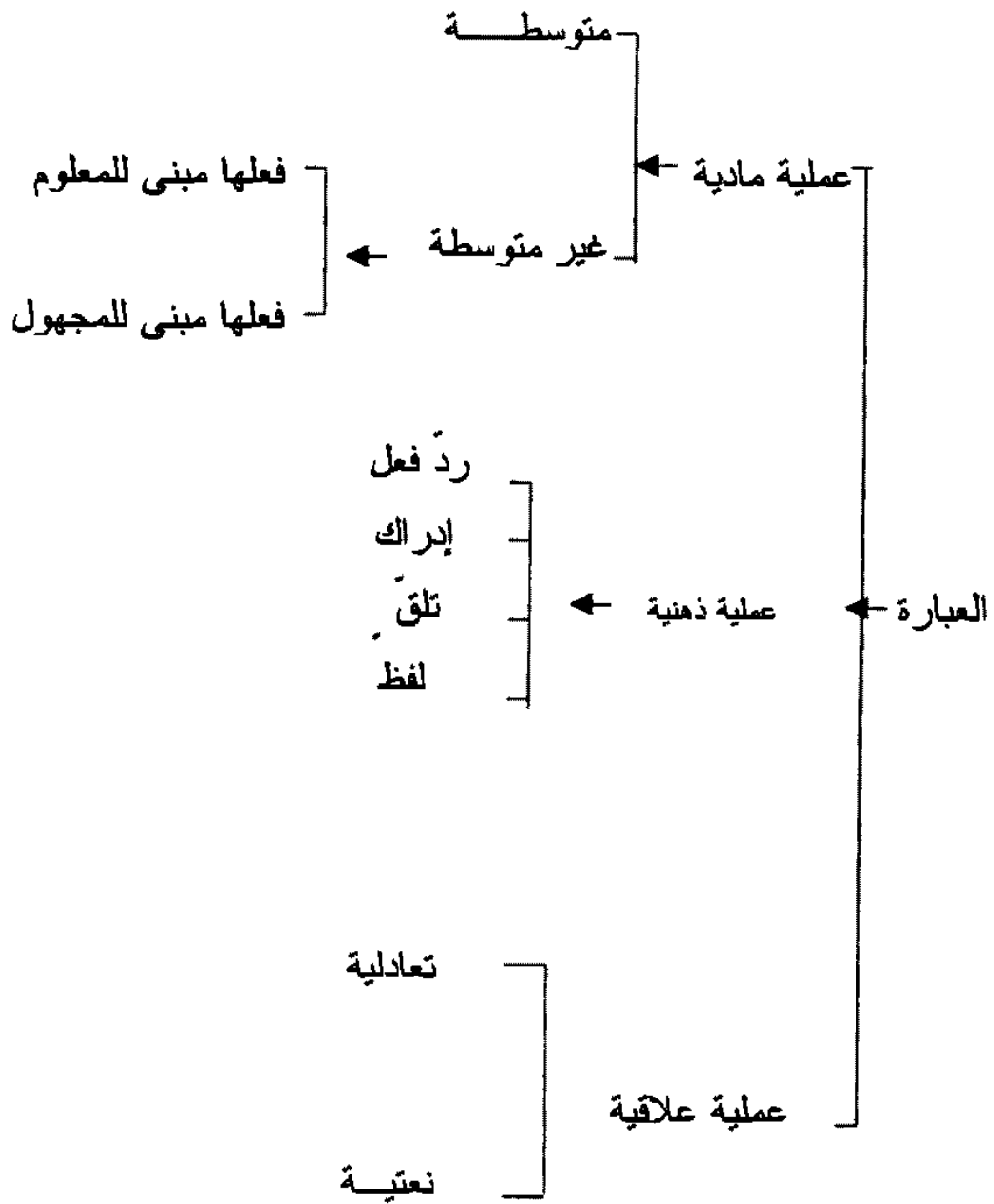
- Morley, G.D. (1985) p . 50 ff

(3)Morley, G.D. (1985) p . 57

(4)Ibid p . 55

(٥)انظر الشبكة المعقدة فى :

- Halliday , M .A.K .(1964) : English system network in : Kress, K . (1976) p . 110


متوسطـــــة
عملية مادية
فعلها مبنى للمعلوم
غير متوسطة
فعلها مبنى للمجهول
ردّ فعل
إدراك
تلقٍ
لفظ
عملية ذهنية
العبارة
تعادلية
عملية علاقية
نعتيـــة

الصيغة mood :

تظهر الوظيفة التبادلية أو المكون التبادلى إن شئت واضحاً جليا فى نظام الصيغة.[1] وأنظمة الصيغة mood systems تميز ابتـداءً ـ إذا طبقناها على اللغة العربية – بين الخبر والإنشاء[2] فالخبر ماله واقـع يطابقه والإنشاء ما ليس واقع يطابقه ، والعبارة التى تختار الخبر يمكـن أن تقوم باختيار آخر بين الاثبات أو النفى أو التوكيد، فإذا اختارت النفى فقد تختار بعد ذلك أن يكون النفى عامـــا أو محـــدوداً ، وإذا اختـــارت التوكيد فقد يكون لمضمون الجملة أو لأحد عناصرها ٠ وإذا اختـــــارت الإنشاء فقد يكون طلبيا أو غير طلبى ، فإذا كان طلبيا فالاختيـــار بيـــن الأمر صريحاً أو ضمنيا والنهى صريحاً أو ضمنيا ، والاستفهام تصوراً أو تصديقاً ، والدعاء والنداء والتمنى ، والعرض والتخصيـــــص. وإذا كان غير طلبى فالاختيار بين الشرط والإفصاح ، فـــإن كـــان شـــرطا فالاختيار بين الإمكانى والامتناعى، وإن كان إفصاحاً ، فالاختيار بيـــن القسم صريحاً أو غير صريح والالتزام والتعجـــــب ، والمـــدح والـــذم والإخالة. وليس لموقع المسند إليه فى العبارة العربية أثر فـــــى معنـــى الصيغة أما فى الإنجليزية فوقوع المسند إليـــه subject قبـــل الفعـــل المطابق له يجعل العبارة إخبارية declarative، ووقوع الفعـــــل قبـــل المسند إليه يحقق الاستفهام الذى إجابته نعم أو لا. أما الاستفهام الـــــذى يبدأ ب - wh فالمسند إليه فيه يقع قبل الفعل إذا كان كلمة اســـــتفهام ،

---

(1)Butler , Ch . S . (1985) P . 49

(٢) انظر ص ١٢٤ من هذا البحث.

فإن لم يكن وقع الفعل قبل المسند إليه . أما فى صيغة الأمر من نحو Go away فقد اختار هاليداي أن يعدّ غياب المسند إليه حالة من حالات حذف ellipsis المسند إليه، ذلك بأنه مفهوم من الكلام وإن لم يصرح به ، فالسامع يدركه عقلاً، لكن غيابه دليل على أن العبارة أمر.[1]

وقد لفتت برى إلى أن نظام الصيغة يدخل الجمل الفرعية كما يدخل الجمل الأصلية ففى الجملة الإنجليزية :

Shut th window or the house will be freezing by the evening

اختارت جملة shut the window عنصر الأمر من النظام أما الجملة الفرعية التالية فقد أتيح لها اختيار جديد فاختارت عنصر الإخبار. وكون الجملة الأصلية أمراً أشير إليه بعدم التصريح بالمسند إليه، وكون الفرعية إخباراً أشير إليه بذكر المسند إليه مقدما على الفعل المطابق له.[2]

ويشير هاليداي إلى أنّ هناك ثلاثة أنواع من المسند إليه فى العبارة الإنجليزية: سطحى أو نحوى وهو مأخوذ من المكون التبادلى، وعميق أو منطقى حين يكون هو فاعل الحدث وهو عندئذ مأخوذ من المكون الفكرى ، ونفسى حين يكون هو الموضوع أو المتحدث عنه

---

(1)Halliday , M .A.K . (1985) P . 74.

(2)Berry , M . (1975) vol . 1 p . 147.

theme وهو مأخوذ مــن المكون النصى.[1]

الموضوع theme :

المقصود بالموضوع هــو الجزء الذى أريد إبرازه prominence توكيداً له ، أو اهتماما به أو جعله نقطة انطلاق إلى غيره، أو إحالــة إلى عنصر سبق ذكره.[2] ويكون إبرازه بنقله إلى الموقــع الأول فــى العبارة والنقل إلى الموقع الأول من العبارة يسمى الوســم markedness فإذا كان العنصر يشغل الموقع الأول فى العبارة أصالة فلا وسم من ثــم كان هناك فرق بين الموضوع الموسوم وغير الموسوم ، فالأول يقــدم من تأخير ، والثانى يقع فى الموقع الأول أصالة فى الجملة الإنجليزية ، وهو الذى يطابق المسند إليه ، أما الأول فلا يطابق المسند إليــه فقــد يكون مفعولاً به أو ظرفا أو جارّا ومجروراً أو غير ذلك من متممــات الإسناد أو مستلحقاته.[3]

وللمكون النصى دور فى تركيب الرسالة ، والرسالة تتكون مــن موضوع ومحمول ، واختيار العنصر الموسوم لـــه وظيفــة تماسـكية cohesive تلفت الانتباه إلى العنصر الذى وضع فى غير موضعـــه ، وعلاقته بالعناصر الأخرى ، كما تتصل بتقسيم عنصرى القضيــة إلــى معلوم Given وهو ما يفترض المتكلم أن السامع يعرفه ، وجديد New

---

(1)Halliday , M .A.K . (1970), in : Lyons, J. (1975) p . 159 f

(2)Berry , M . (1975) vol . 1 p . 161 , 165

(3) Ibid , p . 163

وهو ما يرد المتكلم الإخبار به أو يفترض أن السامع لا يعرفه. (١)

علم الدلالة الاجتماعي : sociological semantics

ظل هاليداي فى العقد السابع من القرن العشرين وفيا للتراث الفيرثى الذى يرى اللغة وثيقة الصلة بالحياة الاجتماعية للإنسان ، فالنظام اللغوى لا ينفصل بحال عن السلوك الاجتماعى والتفاعل الثقافى، فعلم اللغة عند هاليداي لا يجعل أكبر همه المعرفة المختزنة فى رءوس الناس كما هى الحال فى علم اللغة التشومسكى ، بل اللغة فى تفاعلها الحى بين أفراد جماعة بشرية. (٢)

ويرى هاليداي أن علم الدلالة الاجتماعى ملتقى أصيل لأيديولوجيين لغوية واجتماعية ، فإمكانات المعنى لها جانب لغوى تحققه اختيارات من النحو والمفردات ، ولها جانب اجتماعى تحققه أنماط السلوك التى هى تعبير عن التركيب الاجتماعى. (٣)

لقد كان من أهم خصائص علم اللغة عند هاليداي فى أواخر العقد السادس من القرن العشرين توجهه الوظيفى ، وفى العقد السابع حاول أن يدمج الاتجاه الوظيفى فى الاتجاه الاجتماعى مع اهتمام متزايد

---

(1)Butler . Ch. S . (1985) P . 50

(2)Halliday , M.A.K. (1978) : Language as social semiotic . Edward Arnold . London p . 13

(3)Halliday, M.A.K. (1971): Language in social perespective, in : Halliday , M.A.K(1973): Explorations in the function of language , Edward Arnold. London p . 64 f .

بمركزية المعنى وتعليم الطفل لغته القومية.[١]

إن كلاً منا – بوصفه عضواً فى مجتمع ثقافى معين وتركيب اجتماعى محدد – يتاح له مدى من الإمكانات options السلوكية يتمثل فيما يسمى السلوك الكامن behavioural potential، هذا السلوك الكامن يتكون من " ما يمكن أن نفعل " وهو يشمل السلوك اللغوى كما يشمل السلوك غير اللغوى[٢]وما يريد هاليداي أن يدرسه هو ماذا يمكن أن نفعل باللغة " وهو يساوى عنده " ماذا يمكن أن يقصده المتكلم" من بين مدى متاح له من المعانى المحتملة ، وهذه المعانى المحتملة تعد تحقيقاً لجزء من السلوك الأعلى الكامن higher behaviour potential، والمعانى الاحتمالية، أو قل الاختيار منها يتحقق بدوره فى صيغ واقعية هى العناصر المعجمية والمبانى التركيبية على النحو الذى يمكن للمتكلم أن يقوله.[٣] وعلى ذلك فعلم الدلالة الاجتماعى يمكنه الصعود إلى شبكة الإمكانات السلوكية التى هى خارج اللغة. والهبوط إلى نحو اللغة ومعجمها. ومن الممكن أن نعرض هذه العلاقات على النحو الآتى:[٤]

---

(1) Butler , Ch.S. (1985) p . 58

(2) Ibid , P 58

(3) Ibid , P 58
- Halliday , M .A .K . (1973) p . 51

(4)Butler , Ch . S. (1985) p . 59.

يمكن أن يفعل		يمكن أن يقصد (= يعنى)		يمكن أن يقول
السلوك الكامن	يتحقق بـــ	السلوك اللغوى الكامن	يتحقق بـــ	الاستخدام النحوى المعجمى المحتمل

المدخل input الاجتماعى إلى علم الدلالة هو إذن مجموعة من المواقف والأوضاع ، والمخرج output اللغوى يمثل بمفهوم المكون الوظيفى شبكات التعدية ، والصيغة ، والموضوع ، والمطلوب هو المطابقة بين شبكات الدلالة الاجتماعية ، والنحو المعجمى، ولن نتوقع تطابقاً حرفيا واحداً لواحد بين الإمكانات الدلالية والنحوية، بل قد يعبر عن واحد منها بعدد من السمات النحوية المعجمية فى وقت واحد. [١]

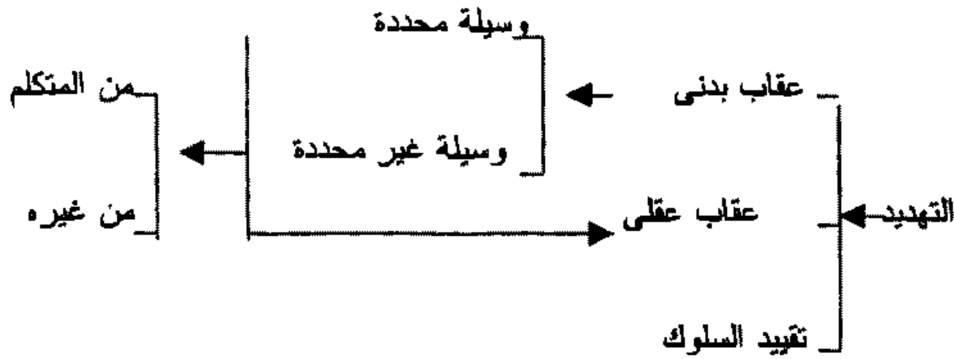
لقد ناقش هاليدى نفسه السياق الاجتماعى لتحكم الأم فى الطفل بالوسائل اللغوية المتاحة للاستنكار disapprobation معتمداً فى ذلك على معجم روجيه الموضوعى Roget's thesaurus ، [٢] وسوف نكتفى هنا بعرض جزء من الشبكة خاص بالتصنيف الفرعى لتهديد الأم لطفلها. [٣]

---

(1)Ibid , p. 60

(2)Halliday , M .A .K . (1973) p . 58 – 62

(3)Butler , Ch . S. (1985) p . 61.



وأمثلة التهديد تصسفها الشبكة والمرتبطة بقواعد التحقيق ، وهـــى كلهـــا قد تكون مصحوبة بشرط صريح مثل : إذا فعلت ذلـــك ... أو : إذا فعلت ذلك مرة أخـــرى ، أو : إذا استمررت فـــى فعل ذلك ...

- فسوف أصفعك (عقاب بدنى، وسيلة محددة، من المتكلـــم).
- فسوف يضربك أبوك (عقاب بدنى ، وسيلة محددة ، من غـــير المتكلم).
- فسوف أغضب عليك (عقاب عقلى ، من المتكلم).
- فسوف يغضب عليك أبوك (عقاب عقلى، من غير المتكلم).
- فلن تلعب الكرة بعد الآن (تقييد للسلوك)٠

وقد اتضح فى أعمـــال هاليداي منذ منتصف العقد السابع مـــــن القـــرن العشريـــن مفهـــوم النظـــــأم الســـلوكى الأعلـــى higher behavioral system ، وأصبحت المعانى الكامنة فى لغـــة مـــا ، أى نظامها الدلالى ، تحقيقا لمستوى أعلى من العلاقات التى تنتمـــــى إلـــى

السيمية الاجتماعية[1] وكان لنظرية اللغـــة بوصفـــها تحقيقـــاً للســـيمية الاجتماعية عناصر عديدة أدمجها هاليداي فى نمـــوذج لغوى اجتمـــاعى عام، وهذه العناصر هى: النص ، والموقـــف ، واللغـــة الخاصـــة ، والشفرة، والنظام اللغوى، والتركيب الاجتماعى . وسوف نعرض لـــهذه العناصر الآن عرضاً موجزاً :

النص : text :

عنى هاليدى فى أعماله المتأخرة عناية بالغة بالنص بوصفه واحداً من أهم المفاهيم فى نموذجه النحوى . والنـــص عنـــده هـــو الوحـــدة الأساسية لعلم الدلالة ؛ إنه فى علم الدلالة بمنزلة الجملة فى علم النحو ، والفونيم فى علم الصواتة (الفونولوجى)، [2] ولذلك ينبغى ألا يعدّ النص توسعاً فى مدى الرتبة صعوداً من الجملة إلى النص فيصبح وحدة تعلـــو الجملة أو جملة عليا supersentence ، فهو ليس وحدة تركيبية ، بـــل هو وحدة دلالية لهـــا تركيبهـــا الخاص. [3]

من هنا كان من غير الجائز أن يحدّد النص على أســـاس مـــن حجمه أو طوله، كأن يقال إنه أكبر من الجملة، أو اطول منها؛ فقد يكون من القصر بحيث يتكون من جملة واحدة ، وقد يكون من الطول بحيـــث

---

(1)Ibid , p 62

(2)Halliday , M .A .K. (1978) p.109

- Parret, H . (1974) p. 101

(3)Halliday , M .A .K . (1978) .p . 109

يكون رواية كاملة ، أو ما قيل فى ندوة ، أو اجتماع لجنة [١] وليس من المقبول أيضا أن يقال إن النص يتكون من جمل، بل الأقرب إلى القبول أن يقال : إنه مشفر encoden فى جملة أو أكثر ، وإن شئت الدقة فهو وحدة دلالية تتحقق بوحدات معجمية نحوية أو تشفر فيها ، وهذه الوحدات النحوية المعجمية تتحقق بدورها فى وحدات صواتية (=فونولوجية) أو خطية (= كتابية) ، أو تشفر فيها [٢] وعلى ذلك ليست وظيفة النص مقيدة بتأسيس علاقات بين الجمل ، وليس من المستطاع معالجة نظرية النص على أنها توسعة لنظرية النحو. [٣]

ولیس تحديد النص معضلة ، فكل متكلم طبيعى أو كاتب يدرك أن ما يقوله أو يكتبه نص من النصوص ، فالنص لا يعدو أن يكون رسالة يراد إبلاغها ، والرسالة وحدة دلالية متماسكة ، فإذا تمت الرسالة فقد اكتمل النص ، ولا تكون سيطرة كل من المتكلم والسامع والكاتب والقارئ على لغته كاملة إلا إذا استطاع أن يميز بين النص text و اللا نص non-text ، أو بين الوحدة الدلالية المتكاملة المتماسكة معنى وصياغة وبين مجموعة عشوائية من الجمل لا يجمع بينها جامع ، ولا يربطها رابط كالأمثلة التى تساق فى كتب النحو إيضاحاً لقاعدة أو تدريباً عليها ، أو قائمة الكلمات التى ينتظمها المعجم [٤] ولا يكاد المرء

---

(1)Butler, Ch.s. (1985) p. 63

(2)Halliday, M.A.K. (1975) : learning How to mean – explorations in the Development of Language . Edward Arnold – London P . 23

(3)Halliday, M.A.K. (1990) p . 10

(4)Halliday , M .A .K & Hasan , R.(1980) p. 1 f
- Halliday , M .A .K & Hasan , R.(1990) p. 10

يواجه فى التفاعل اللغوى الحىّ بظاهرة اللا نص ، فاللانص محض هراء non-sence لا يلتفت إليه أحد ، ولا يعتد به سامع أو قارئ.[١] والنص يتميز عن اللانص بخاصية النصّية texture التى تقوم على ركنين أساسيين هما : التماسك الداخلى internal cohesiveness وسياق الحال context of situation الذى " يكبسل" فيه النص أو يتجلى فيه.[٢]

وللنص فضلا عن ذلك خاصيتان أساسيتان إحداهما أنه نتاج product بمعنى أنه مخرج output ، أى أنه شئ يمكن تسجيله ودراسته ، وله تركيب معين يتمثل فى منظومة من العناصر . والثانية أنه عملية process اختيار دلالى . إنه حركة خلال شبكة من المعانى الممكنة محكومة بنظام دلالى وتركيبى ، ومهمة عالم اللغة هى الجمع بين هاتين الخاصيتين للنص ، وربطهما كليهما بمفهوم النظام الذى يكمن خلفهما.[٣]

والنص من الوجهة السيمية الاجتماعية حدث تفاعلى interactive event ، ولذلك فالهيئة الأساسية التى يتخذها النص هى الحوار dialogueالقائم على التفاعل بين المتكلمين والمخاطبين ، ولا يعنى هذا أن الحوار أهم من الأنواع الأخرى من النصوص ، و إنما الملحوظ أنه يرتبط بالمحادثة العفوية التى يقوم بها الناس كل يوم ، لذلك فهو النوع

---

(1)Halliday , M .A .K & Hasan , R.(1980) p.23.

(2)Ibid , P. 2 f

- Halliday , M .A .K & Hasan , R.(1990) p. 11

(3)Halliday , M .A .K & Hasan , R.(1990) p . 10 f

الذى يستثمر فيه الناس كل موارد اللغة ومصادرها ، ويتمثل فيه نـــوع الموقف الذى يرتجلونه أو يبتكرونه ، وهو أيضـــا المجـــال الخصـــب للتطور أو التغير اللغوى غير الواعى فى أية لغة.[١]

الموقف : situation

الموقف عند هاليداي هو البيئة التى يولد فيها النص[٢]وهو بـــهذا المعنى مفهوم مستقر فى الدرس اللغوى منذ زمن بعيد يرجع على الأقل إلى س نة ١٨٨٥[٣]لكن ما يريد أن يضيفه هنا هو التنبيه إلى أن المراد بالموقف ليس العناصر المادية المحيطة بالحدث الكلامى ، وليس هـــو مسرح الأحداث المصاحبة للنص التى يمكن تسجيلها صوتـــاً وصـــورة لكنه مفهوم مجرد ، ينبغى تصوره لا على أنه موقف ، بل على أنـــه نمط موقف type of situation بـــالمعنى الـــذى يشـــير إليـــه برنشتايـــن بالســـياق الاجتمـــاعى social context [٤]،وهـــذا هـــو المقصود أساساً بما يسمى التركيب السيمى semiotic structure ٠ إنه النجم القطبى الذى تدور حوله معانٍ مشتقة من النظام الســـيمى الـــذى يكون الثقافة. و لا سبيل إلى إدخال هذا المفهوم فـــى نظريـــة لغويـــة اجتماعية عامة إلا إذا كان على هذا النحو من التجريد ، فهناك خـــواص عامة لكل موقف تتحدد بها الصيغ الدلالية التى يستخدمها المتكلم فى هذا الموقف على وجه الخصوص، ومن ثم يستطيع السامع أن يقوم بتنبؤات

---

(1) Ibid , P . 10

(2) Halliday , M .A .K & Hasan , R.(1978) p . 109

(3) Ibid , P . 109

(4)Ibid , P . 109

بما يمكن أن يقصده السامع.[١]

والتركيب السيمى لنمط الموقف مركب من ثلاثة أبعاد أشرنا إليها قبلاً هى : المجال field ، ونوع المشاركة tenor والصيغة mode وهذه الأبعاد ليست أنواعاً من استعمالات اللغة ، وليست مكونات للحدث الكلامى ، بل هى إطار مجرد يعرض من خلاله السياق بوصفه بنية سيمية يمكن من خلالها أن يتبادل الناس المعانى.[٢]

لغة الموقف : register :

تتنوع اللغة بتنوع وظائفها ، وتختلف باختلاف المواقف التى تستخدم فيها ، والمصطلح الذى يطلق على تنوع اللغة على أساس من تنوع المواقف هو لغة الموقف.[٣] على أن هذه التنوعات ليست هامشية marginal ، أو خاصة special ، بل هى تشمل مجتمعة المدى الكلى لنشاطنا اللغوى.[٤]

ودراسة لغة الموقف محاولة للكشف عن الأسس العامة التى تحكم هذا التنوع ، وبهذا يمكن الوصول إلى الأنماط الموقفية التى تحدد السمات اللغوية.[٥]

---

(1) Ibid , P . 110

(2)Ibid , P . 110

(3) Halliday, M.A.K. (1974): Language and social man. Long man London p. 32.

(4) Halliday, M.A.K. et al (1964) P.89.

(5)Halliday, M.A.K. (1974) P.32.

لغة الموقف إذن مجموعة فرعية Subset من المعانى الكلية المحتملة تحققها سمات لغوية تعبر عن موقف معين تشترك فيه مجموعة متجانسة من الناس كرجال القانون أو المهندسين أو رجال الدين ، أو التجار أو أصحاب الحرف والمهن المختلفة ، أو من تجمعهم هوايات أو نشاطات مشتركة كمشجعى كرة القدم أو هواة جمع طوابع البريد، من خلال قيم المجال ونوع المشاركة والصيغة.

ولغة الموقف تتميز عن اللغة العامة بخصائص صوتية ، وصرفية ونحوية ، ودلالية. وما ينبغى الخلط بينها وبين خواص مستعمليها اللهجية أو المحلية ، فاللهجة تنوع لغوى خاص بالمستعمل user لغة الموقف تنوع لغوى خاص بالاستعمال use. وما ينبغى الخلط بينها وبين لغة كاتب أو شاعر، فهذه تميز شخصا عن غيره، وتلك تميز فئة عن أخرى. (١)

على أن هاليداي مال فيما بعد إلى أن تكون السمات المميزة للغة الموقف سمات دلالية اتساقاً مع انتقاله إلى نظرية تقوم على أساس دلالى دون إغفال لنمط السياق الاجتماعى أو الثقافى الذى تقع فيه. (٢) إنها عنده المعنى المحتمل الذى يمكن الوصول إليه فى موقف اجتماعى محدد. (٣)

---

(1)Halliday , M .A .K. (1978) p . 110
- Berry, M (1975) Vol. 1 p.2.
(2)Halliday , M .A .K. (1978) p . 111
(3)Halliday , M .A .K. (1978) p . 101

الشفــرة code :

تأثر هاليداي بالنظرية الاجتماعية التى وضعها عـــالم الاجتمـــاع الإنجليزى بازل برنشتاين (١٩٢٤ ــ)،[١] وهى نظرية تعنى بعناصر الثبات فى المجتمع وعناصر التغير وليست مجرد نظرية فى الإخفـــاق التعليمى educational failure كما أشار إليها أحيانـــاً ،[٢] ويشـــغل الجانبان التعليمى واللغوى فيها جزءًا لا يستهان به ، وكان أهم ما عنـــى به ربط الإخفاق التعليمى بالاخفـــاق اللغـــوى linguistic failture ، وربط الإخفاق اللغوى بالطبقة الاجتماعية social class.[٣]

وقد ميز برنشتاين فى ذلك بين نوعين من الشـــفرات : موســـعة elaborated code ، ومقيدة restricted code فالشـــفرة المقيـــدة لا يستخدمها إلا المنتمون إلى الطبقة العاملة ، وهى تتميز بخواص لغويـــة أهمها فقر المفردات، وعدم الوضوح نسبيا ، والميل إلى استخدام ضمير الغائب والمخاطب أكثر مـــن استخدام ضمير المتكلم ، والإكثـــار مـــن الأسئلة التذييلية tag questions ، وحركـــات الجســـم المصاحبـــة ، والاعتماد على السياق. و أبناء هذه الطبقة يشتركون فـــى اهتماماتـــهم، ومن الممكن التنبؤ بأنماط السلوك اللغوى الذى يقومـــون بـــه إشـــباعاً

---

(1)Kress . G . (1976) P . xxi

(2)Halliday , M .A .K. (1978) p . 101

(3) Guy, G.R.: Language and social class, Newmeyer, F.J. (1995): Linguistics: in : the cambridge survey. IV Language: The scio – cultural context. Coabridge University press. P.45.

لوظائف لغوية محددة. [1] أما الشفرة الموسعة فيستخدمها المنتمون إلـــى الطبقة العليا فى المجتمع ، وهى تميل إلى الوضوح ، والإكثـــار مـــن استخدام الجمل المركبة ، والصفات ، والاستدلال المنطقى فوق أنه من العسير حصرهم فى اهتمامات محـــددة ، أو توقـــع ســلوكهم اللغــوى والاجتماعى أما أبناء الطبقة المتوسطة فعندهم القدرة على استخدام كلتا الشفرتين والجمع بين خصائصهما. [2]

وعلى الرغم مما أثارته أفكار برنشتاين من جدل ، وما وجه إليها من نقد،[3] وعلى الرغم من أن هاليداي نفسه يعارض بعضها فقد تــزود منها بمفاهيم اقتنع بأن من الواجب الاستعانة بها فى أى تفسير للغـــة أو تحليل لها. وكان من أهم المفاهيم التى أفاد منها مفهوم الشفرة code ، فالشفرة عنده كما هى عند برنشتاين ، تنظيم سيمى يسيطر على اختيــار المعانى عند المتكلم وتفسيرها عند السامع ، وهى المتحكمة فى الأساليب الدلالية للثقافة ، وهى تتحقق من خلال لغة الموقف rigester ، لأنـــــها هى التى تحدد التوجه الدلالى للمتكلمين فى سياق اجتماعى محدد. [4]

---

(1)Ibid P . 54.
- Halliday , M .A .K. (1978) p . 111 f
- Richards , J.C- platt,J.- platt, H. (1993) p.57.

(2)Richarols, J.C. et al (1993) P . 57

(3)Guy, G.R. (1995) P . 55

(4)Halliday , M .A .K. (1978) P.111

والشفرة عند هاليدى تساوى ما يمكن قوله ، وهو لذلك يرفض التفرقة بين الشفرة واستعمال الشفرة ، ويرفض من ثمَّ تفرقة تشومسكى بين السليقة competence والأداء performance ، ويرى هذه الثنائية مضللة ؛ لأنها لا تعدو أن تكون تفرقة بين ما يستطاع وصفه ، وما لا يستطاع. [1]

وهو يرى أن الإخفاق التعليمى مشكلة اجتماعية لكن لها جانبا لغويا يمكن أن نبدأ فى فهمه إذا أحطنا بالبيئة الثقافية للمتكلم ، فليس الجانب اللغوى هنا معنيا به الإخفاق فى تحصيل بعض قواعد النحو والصرف والمفردات ، لكنه إخفاق فى إدراك وظائف اللغة ، فالذى يفرق بين شفرة وأخرى هو الوظائف المختلفة التى يقوم بها كل منها،[2] فالشفرات ـ كما رآها برنشتاين ووافقه هاليداي ـ هى استراتيجيات مختلفة للاستعمال اللغوى ، لكنها عند هاليداي ليست مرتبطة بطبقة معينة ، بل يستوى فيها كل إنسان سوى. [3]

التركيب الاجتماعى social structure

هو شكل معين من أشكال مجتمع معلوم يعد مصدراً للعديد من المكونات الاجتماعيةِ اللغوية التى أشرنا إليها قبلاً ، فالتركيب الاجتماعى هو الذى يحدّد أى أنماط السياق الاجتماعى له أهمية مركزية كالمجال field ، ونوع المشاركة ، والصيغة mode ، وأيها هامشى ،

---

(1)Halliday , M .A .K. (1970) , in Lyons, J . (1975) p . 145.

(2)Halliday , M .A .K. (1978) p. 24 f

(3)Ibid P . 57

وهو الذى يحدد الشفرات المطلوبة للغة الموقف ، وهو يختلف عن النظام الاجتماعى ، إذ إنَّ الاخير هو الذى يشمل العلاقات التفاعلية جميعها ، فهو من ثمَّ مساوٍ للثقافة culture. [1]

ويؤكد هاليداي أن التركيب الاجتماعى ليس خلفية زخرفية ornamental background للتفاعل اللغوى كما يميل إلى ذلك بعض الذين يناقشون المسائل اللغوية الاجتماعية ، لكنه عنصر أساسى فى تطور الأنظمة والعمليات الدلالية. [2]

ويرى هاليداي أن ثمة ثلاث طرائق يندرج بها التركيب الاجتماعى فى النظرية اللغوية الاجتماعية : [3]

الأولى : أن يعطى مغزى للأنماط المتنوعة من السياق الاجتماعى الذى تتبادل فيه المعانى. وما شبكات الاتصال التى تحدد ما أسماه هاليداي نوع المشاركة tenor إلا نتاج للتركيب الاجتماعى ، وهو أيضاً الذى يخلق المجال field الذى يدور حوله الحديث ، والصيغة mode أيضاً أو قناة الاتصال التى يتحقق من خلالها لغة وأسلوبا .

الثانية : أن يحدد الأنماط الحميمية للاتصال ويميز بينها وبين الأنماط الرسمية من خلال الوسيط اللغوى ، وأن يحدد أيضاً أشكال التهيئة الاجتماعية socialization للطفل.

---

(1)Butler, Ch.S. (1985) P. 68

(2) Halliday , M .A .K. (1978) p. 114

(3) Ibid , P . 113 – 114

الثالثة : وهى أكثرها تعقيداً أن يدخل من خلال الهرمية الاجتماعية social hierarchy فى شكل فئة اجتماعية caste أو طبقة اجتماعية class وتلك هى الخلفية الاجتماعية للهجات التى هى المظهر المباشر للهرمية الاجتماعية ، والتى هى أيضاً التعبير الرمزى symbolic expression عنها ٠

النظام اللغوى :

يتضمن النظام اللغوى عند هاليداي النظام الدلالى ٠ والنظام الدلالى يطابق عنده ما أطلق عليه لامب الطبقة الدلالية semological stratum بمعناها الوظيفى لا المعرفى.[1] وقد أصبح النظام اللغوى عنده مؤلفاً من طبقات ثلاث، مؤثراً استعمال الطبقة stratum على المستوى level ، وهذه الطبقات هى : الطبقة الدلالية semantic stratum ، والطبقة المعجمية النحوية lexico- grammatical stratum، والطبقة الصواتية phonological stratum .[2]

فالطبقة الدلالية تتألف من المكونات الوظيفية للمعانى التى تظهر فى كل استعمال للغة فى كل سياق اجتماعى مجدولة معاً لتكون النص وهى المكونات الفكرية ideational ، والتبادلية interpersonal ، والنصّية textual وهى تعدّ مكونات النظام الدلالى ، وليست مجرد

(1)Halliday , M .A .K. (1978) p. 111

(2) Morley , G.D. (1985) P . 48

وظائف للغة تطابق الاستعمالات.[١]

والطبقة المعجمية النحوية تمدنا بقواعد النحو والصرف والمعجم اللازمة لصياغة النص ، فيتحقق بها المخرج output الدلالى.[٢]وهذه الطبقة هى التى تفسر لنا الطريقة التى يعبر بها عن المعانى • وتنعكس مكونات المعنى على النظام المعجمى فى هيئة شبكات منفصلة من الاختيارات ، ففى العبارة clause مثلاً يتمثل المكون الفكرى فى التعدية ، والمكون التبادلى فى الصيغة mood ، والصيغية modaity، والمكون النصى فى مجموعة من الأنظمة يشار إليها مجتمعة بالموضوع theme. من هنا كان التنظيم الوظيفى للمعانى فى اللغة يؤسس نواة النظام اللغوى من حيث هو تنظيم للطبقة المعجمية النحوية.[٣]

أما الطبقة الصواتية فهى تمدنا بأنماط التنغيم ، ونبر الإبراز prominence stress ، وأنماط الأصوات ، وغير ذلك مما هو لازم لتكوين أصوات النص.[٤]

وربما يبين الرسم التوضيحى المبسط الآتى تناول هاليداي العلاقة بين هذه الطبقات التى تكون النظام اللغوى ، والعلاقة بينها وبين لغة الموقف والسياق.[٥]

---

(1) Halliday, M.A.K. (1978) P.112.

(2)Morley , G.D. (1985) P . 48

(3)Halliday ,G.A.K. (1978) p. 112

(4)Morley , G.D. (1985) P .49

(5) Ibid, P .49

	السياق	لغة الموقف
	المعنـــى	علم الدلالة
النظام اللغوى	الصياغـــة	نحو معجمى
	البنية الصوتية	صواتـــــه
	الأصوات	علم الأصوات

تلك كانت مكونات الصورة الكلية للغة من حيـــث هـــى تحقيـــق للسيمية الاجتماعية وهى تتآلف جميعاً مكونة نموذجا وظيفيا اجتماعيـــا يغلب علية التوجه الدلالى، وهو النموذج الذى أصبح يمثل النظرية فـــى هذه المرحلة من تطورها.

خاتمـــة

أرجو أن يكون ما قدمت فى هذا الكتاب قد حقق المـــأمول منـــه تعريفاً بهذه النظرية اللغوية التى لم يكتب لها ما كتب لغيرها من الذيوع والانتشار فى العالم العربى خاصة على الرغم مما تتميز به من ضبـــط منهجى، وتواؤم مع طبيعة اللغة ، وقابلية للتطبيق على اللغـــة العربيـــة تقصر عن بلوغ غايتها نظريات أخرى كالنظرية التحويلية التوليدية التى بلغ الاهتمام بها فى العالم العربى حدّاً لم تبلغه نظرية أخرى مـــع مـــا فى تطبيقها على اللغة العربية من مشكلات عويصة لم تستطع محاولات الباحثين الدائبة حلها.

وقد كنت حريصا طوال البحث على إيراد الأمثلة من اللغة العربية إشعاراً بيسر تطبيق هذه النظرية على اللغة العربية ، حتى يتاح لـــى أو لغيرى دراسة اللغة العربية من خلال ما قدمـــه هـــاليداي مـــن أســس منهجية، وطرائق فى التحليل ، فهاليداى نفسه يرى أن أية نظرية ليست جديرة بأن تسمى نظرية إلا إذا أمكن تطبيقها على كل اللغات.

ولعلّ أيسر ما يمكن البدء به هو تحديد أنظمة النحو العربى فـــى ضوء ما قدمه الرجل من ضبط منهجى لمفهوم النظام ، ثـــم بيان علاقة كل نظام منها بالآخر ، وكيف يعمل مع غيره ، وتجميع هذه الأنظمـــة فى شبكات كبرى ، وكيف تعمل كلها فى إطار نظام أعظـــم يمكـــن أن يسمى نظام الأنظمة وهو اللغة ٠ وكل هذا ميسور لمن شـــاء الإقـــدام عليه، لأن فى نحونا العربى بيانا لا يشوبه لبس أو قصور لهذه الأنظمة

لمن يستطيع أن يجمع شتاتها ، ويستوفى أجزائها ، ويستكشف خصائصها ، ويستبين علاقة كل نظام منها أجزاءها، وكيف تعمل كلها فى وقت واحد لإنتاج المظهر اللغوى مسموعاً أو مكتوباً.

ولعل مما يستلفت النظر أننى لم اعثر على بحث واحد كتب باللغة العربية عن هذه النظرية مع شدة طلبى له ، وسعيى للوصول إليه، على كثرة الدارسين للنظريات اللغوية المعاصرة ، والباحثين فى مدارسها المختلفة ، اللهم إلا ما ورد عنها فى كتاب مترجم عن المدارس اللغوية، مع أن المرحلة الأولي من هذه النظرية اتضحت معالمها منذ بداية العقد السادس من القرن العشرين ، أى أنه انصرم من عمرها قرابة أربعين عاما من البحث الدائب الذى قدمه هاليداي ، وشاركه فيه عديد من زملائه وتلامذته ، لا يكاد يحصيهم عدّ ، ووجَدتُ من يطبقها على لغات كثيرة غير الإنجليزية . على أنى عثرت بعد جهد على كتاب عنوانه " أهم المدارس اللسانية " نشره المعهد القومى لعلوم التربية بتونس سنة ١٩٨٦ فلما تصفحته وجدته خلوا من هذه النظرية ، وإن تناول أحد المشاركين فيه وهو عبد الحميد كون مدرسة لا تمت إلى هذه النظرية بصلة هى المدرسة النفسية النظامية psycho systematique التى تسمى أيضا النفسية الآلية psycho- mecanique لجوستاف جيوم .

ولست أزعم أننى بهذا البحث وفيت النظرية حقها، فالاحاطة بما كتبه هاليداي وصحبه لا يستطيع القيام به باحث فرد، وقد كان هدفى منذ البداية التعريف بهذه النظرية، و إبراز مكانتها بين النظريات اللغوية المعاصرة، وتتبع مصادرها العلمية، ونشأتها، وتطورها وبيان أسسها

المنهجية، ومناهجها التحليلية لفتــا للباحثين إلى العناية بنظرية تســتحق العناية بها، وحفزا لهم على الإفادة منها فى دراسة اللغة العربية وتجديد النظر فيها فى ضوء فكر لغوى مغاير لما شاع.

والله الموفق والهادى إلى سواء السبيل

ب – الأجنبية :

1 - Berry, M. (1975): An Introduction to Systemic Linguistics I Structures and Systems. B.T. Bastford London and Sydney.

2 - Butler, Ch.S.: 1985 Systemic Linguistics . Theory and Applications London.

3 - De Beaugrande, R. (1991) : linguistic Theory. The Discourse of fundamental Works. Longman.

4 - Eggens, S (1994) An Introdnction to Systemic Functional Linguistics. Pinter publishers. London .

5 - Firth J .R . : (1957) Papers in Linguistics 1934 – 1951 , Oxford University press.

6 - Firth J.R. : Sound and Prosodies, in : Jones,W.E & lover, J.(eds) 1979 linguistics A book of Reading (longman).

7 - Firth, J.R. The Tongues of Men and speech. London (1964).

8 - Gardner, T. Einführung in die moderne englische phonologie. Heidelberg 1975.

9 - Guy, G.R.: Language and social class, Newmeyer, F.J. (1995): Linguistics: in : the cambridge survey. IV

Language: The scio–cultural context. Coabridge University press.

.10 - Halliday, M.A.K (1961): Categories of the theory of grammar, in: Kress,G.(ed) (1976):Halliday:System and Function in Langage . Oxford Universtiy press London

11 - Halliday, M. A .K: (1964) : Discriptive Linguistics in Literary Studies (Duthie , A (ed) : English Studies Today : Third Series. Edinburgh University Press.

12 - Halliday , M .A.K .(1964) : English system network in : Kress, K . (1976).

13 - Halliday , M .A.K. (1966) : Deep grammar : system as semantic choice, in : Kress, G (ed) 1976.

14 - Hallidany , M . A . K . (1969) : A brief sketch of systemic grammar in : Kress , G. (ed) : Halliday : System and Function in Language . Oxford University Press 1976.

15 - Halliday , M .A.K . (1968) : Notes on transtivity and theme in English . part 3 . Journal of Linguistics.

16 - Halliday , M .A.K . (1970) : Language Structure and Language Function , in: Lyons, J. (ed.) , (1975).

17 - Halliday , M.A.K (1985) An Introduction to Funtional Grammar. Edward Arnold , London . P : v

18 - Halliday, M . A . K : Language Structure and Language Function , in : Lyons , J. ((ed) 1975 : New Horizons in Linguistics . Penguin Books .

19 - Halliday, M.A.K(1966):Deep grammar:system as semantic choice, in : Kress. G.(ed) (1976).

20 - Halliday, M.A.K. (1975) : learning How to mean – explorations in the Development of Language . Edward Arnold – London.

21 - Halliday, M.A.K. (1971): Language in social perespective, in : Halliday , M.A.K(1973): Explorations in the function of language , Edward Arnold. London.

22 - Halliday, M.A.K. (1973) : Explorations in Functions of Language . Edwar Arnold. London.

23 - Halliday, M.A.K. (1974): Language and social man. Long man London.

24 - Halliday, M.A.K. (1978) : Language as social semiotic . Edward Arnold . London.

25 - Halliday,M.A.K.& Hasan, R(1990): Language, context and Text : Aspects of Language in Social-semiotic Persective. Oxford.

26 - Helbig, G. 1981 Geschichte der neueren Sprachwissenschaft. Opladen.

27 - Kress, G. (1976) : Halliday : System and Function in Language . London.

28 - Levinson, S.C. (1983) Pragmatics. Cambridge University press.

29 - Lyons , J . (1996) : Linguistic Semantics . An Introduction.

30 - Lyons, J (1977): Semantics. Cambridg University Press. Vol. 2.

31 - Lyons, J.:(1962) Phonemic and non –phonemic phonolgy : some typological reflections, in :Jones, W.E & Lover, J.(1979).

32 - Lyons, J: Firth's Theory of "Meaning" in: Bazel, C.E. – Catford, J.C. – Hallidany, M.A.K. – Robins, R.H.: (eds.) 1966. In Memory of J.R. Firth. Longman.

33 - MacArthur, T.C (1996): The Oxford companion to the English Language. Oxford University Press.

34 - Malmkjær, K. : Scale and Category Grammar, in : Malmkjær K.(ed) 1991 The Linguistics Encyclopedia. Routledge. London- New York.

35 - Malmkjær, K.: Functional Grammar, in Malmkjær, K. (ed) 1991.

36 - Martin, J.R.: Systemic Grammar, in : Bright, W . (ed)1992. International Encyclopedia of Linguistics.

37 - Mindt, D. (1975) Sprachtheorie M.A.K . Hallidays , in : Moderne Linguistik. Düsseldorf .

38 - Morley, G.D. (1985):An introduction to Systemic Grammar. Macmillan Publishers. Hong Kong .P.V

39 - Palmer, F.R . (1968) Selected Papers of J . R . Firth , Longmant.

40 - parret, H.(1974)discussing Language, Mouton, the Hague.

41 - Richards, J. C. – platt, J .– platt , H (1992) Dictionary of Language Teaching & Applied Linguistics – Longman.

42 - Robins,R.H.(1980): General Linguistics. An Introductory Survey. Longman London-Newyork P.282.

فهرس